مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

مسألة الهداية والإضلال [١]

مفهومُها وتعلقُها بِسِرِّ القدرِ والحكمةِ والتعليلِ

د. محمد بن إبراهيم الحمد
أستاذ مساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

ملخص البحث

عنوان هذا البحث: (مسألة الهداية والإضلال مفهومها، وتعلقها بسرِّ القدر، والحكمة، والتعليل).

وهو يدور حول مسألة عظيمة يكثر فيها الجدل، وتثار حولها الشبهات، وتحتاج إلى مزيد بحث، وتحرٍّ، وإيضاح لمفهومها، وإجابة عن الإشكالات في شأنها.

وقد اشتمل هذا البحث على ما يلي:

١- أن الهداية في اللغة: تطلق على الدلالة، والإرشاد، والتبيين، والتبصير، والإضلال ضد ذلك.

٢- انقسام مراتب الهداية الربانية للإنسان إلى أربع مراتب: الهداية العامة، والهداية بمعنى البيان، والدلالة، والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام، والهداية إلى الجنة، أو النار يوم القيامة.

٣- هداية الدلالة والإرشاد ثابتة للرسل، وأتباعهم، ولا تستلزم التوفيق، وقبول الحق.

وهداية التوفيق والإلهام بيد الله وحده، وهي التي يختص بها من يشاء.

٤- ورد في البحث معنى الهداية إلى الصراط، وفي الصراط، ومعنى الهداية المجملة والهداية المفصلة، وتفاصيل الهداية إلى الصراط المستقيم.

٥- الهداية شرعاً: تقدير اللهِ الاهتداءَ للعبد بدلالته إلى الصراط المستقيم، وتوفيقه، وإلهامه لقبوله، وسلوكه سبيله؛ حكمةً وتفضلاً.

٦- الضلال في الشرع: مقابل الاهتداء، ويعني العدول عن الصراط المستقيم، وهو مراتب وأقسام.

---

(١) يتقدم الباحث بجزيل الشكر والتقدير لجامعة القصيم ممثلة بعمادة البحث العلمي لدعمها وتمويلها هذا البحث.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

٧- الإضلال شرعاً هو: تقديرُ اللهِ الضلال على العبد بخذلانه، وترك توفيقه، وصرفه عن الاهتداء إلى أصل الصراط المستقيم، أو بعض تفاصيله؛ حكمةً، وعدلاً.

٨- لكلٍّ من الهداية والإضلال أسباب مجملة، وأسباب مفصلة، وقد ورد في البحث بيان لذلك.

٩- لمسألة الهداية والإضلال تعلق بالقدر عموماً، ولها تعلق خاص بسرِّ القدر الإلهي، ومسألة الحكمة والتعليل، وقد ورد في البحث تفصيل لذلك.

من خلال هذا البحث تمت الإجابة عن إشكالات في مسألة الهداية والإضلال

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وأسأله - عز وجل - أن ينفع بهذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن مسألة الهداية والإضلال مسألة عظيمة الشأن، بعيدة الغور، متفرعة الذيول، شديدة الارتباط بباب الإيمان بالقدر.

بل هي - كما يقول ابن القيم -: "قلب أبواب القدرِ ومسائلِه؛ فإن أفضل ما يقدر الله للعبد، وأجلَّ ما يقسمه له — الهدى، وأعظم ما يبتليه به، ويقدِّره عليه — الضلال، وكلُّ نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال"(٢).

وهذه المسألة تتردد في الأذهان، وترد على الألسنة، وتكثر حولها الإشكالات والأسئلة؛ فلا غرو -إذاً- أن ضلت فيها أفهام، وزلت أقدام.

والسبب في ذلك: الاعتمادُ على العقل البشري القاصر بعيداً عن الاستضاءة بأنوار الوحي، وهدايته.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تجلية مسألة الهداية والإضلال، وبيان تعلقها بسرِّ القدر الإلهي، ومسألةِ الحكمةِ والتعليل، وحل الإشكالات التي ترد حولها.

أهمية البحث: للبحث في هذه المسألة أهمية علمية في باب الدراسات العقدية، ويمكن إجمالها بما يلي:

١- أنها متعلقة بباب الإيمان بالقدرِ، والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة.

٢- أن هذه المسألة من الموضوعات الكبرى التي كثُر فيها النزاع، وشاع حولها الاختلاف، وأورد من خلالها إشكالات، فالحاجة تمسُّ إلى تجليتها، وبيان الموقف الصحيح حيالها.

٣- كون هذه المسألة ترد في غضون الكلام على القدر عموماً، والحاجةُ إلى إفرادها، ودراستها من خلال نصوص الكتاب، والسنة، وفهم سلف الأمة - من الأهمية بمكان.

٤- ارتباطها بحياة الناس اليومية؛ حيث تُرى أثارُ الهداية ظاهرة للعيان، وترد أسئلة حول أسباب كل منهما، وتحتاج إلى إجابة علمية مقنعة.

خطة البحث: خطة هذا البحث تتألف من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وذلك كما يلي:

المقدمة: وقد اشتملت على أهداف البحث، وأهميته، وخطته

---

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية ، ص١٤١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

المبحث الأول: مفهوم مسألة الهداية والإضلال

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الهداية والإضلال لغة

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مفهوم الهداية لغة

المسألة الثانية: مفهوم الإضلال لغة

المطلب الثاني: مفهوم الهداية والإضلال شرعاً

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مفهوم الهداية شرعاً

المسألة الثانية: مفهوم الإضلال شرعاً

المبحث الثاني: انفرادُ اللهِ بهما، وأسبابُهما

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: انفرادُ الله بالهداية والإضلال

المطلب الثاني: أسباب الهداية والإضلال عموماً

المطلب الثالث: أسباب الهداية مفصَّلة

المطلب الرابع: أسباب الإضلال مفصَّلة

المبحث الثالث: تعلق مسألة الهداية والإضلال بِسِرِّ القدرِ، والحكمة، والتعليل

وفيه: مدخل: مفهوم القدر، وتعلق مسألة الهداية والإضلال به عموماً

المطلب الأول: تعلقها بِسِرِّ القدر الإلهي

المطلب الثاني: تعلقها بمسألة الحكمة، والتعليل

الخاتمة: وقد تضمنت خلاصة لأهم نتائج البحث، واحتوت على بعض التوصيات

فإلى تفصيل ذلك، و الله المستعان، وعليه التكلان.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

المبحث الأول: مفهوم مسألة الهداية والإضلال

المطلب الأول: تعريف الهداية والإضلال لغة

المسألة الأولى: مفهوم الهداية لغة

أصل هذه الكلمة مادة (هدى).

قال ابن فارس-رحمه الله-: "الهاء والدال، والحرف المعتل: أصلان: أحدهما: التقدم للإرشاد، والآخر: بَعْثةٌ لَطَفٌ"(٣).

ثم بيّن معنى الأصل الأول؛ فقال: "فالأول قولهم: هَديتُه الطريق، أي تقدَّمتُه؛ لأرشده، وكل مُتَقَدِّم لذلك: هادٍ؛ قال:

إذا كان هادي الفتى في البلا ... دِ صدرُ القناةِ أطاع الأميرا(٤)

ثم أوضح ما يتفرع عن هذا المعنى، فقال: "ويتشعَّب عن هذا؛ فيقال: الهدى: خلاف الضلالة، تقول: هَدَيته هدىً.

ويقال: أَقْبَلَتْ هواديْ الخيل؛ أي: أعناقها، ويقال: هاديها: أول رعيل منها؛ لأنه المتقدم.

والهادية: العصا؛ لأنها تتقدم ممسكها؛ كأنها ترشده"(٥).

ثم أوضح معنى الأصل الآخر لهذه المادة: وأنه الهدية: وهي ما أَهْدَيْتَ من لَطَف إلى ذي مودة.

وأن من هذا الباب: الهَدِيّ: وهي العروس تُهدى إلى بعلها، ومنه الهَدْي والهَدِيُّ: وهو ما أهدي من النعم إلى الحرم(٦).

فهذان الأصلان - إذاً - هما مدار هذه المادة.

والمقصود ههنا الكلام على الأصل الأول، وهو الهداية؛ إذ المقام ليس مقام الكلام على الأصل الآخر وهو الهدية، وما يتفرع عنها.

فالهداية: ضد الضلالة، يقال: هداه: هُدَىً، وهَدْياً، وهدايةً، أي أرشده، وبَصَّره، ودعاه إلى الصراط المستقيم، وبيَّن طريق الحق من طريق الباطل.

---

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٢/٦ .

(٤) المرجع السابق ٤٢/٦ .

(٥) المرجع السابق ٤٢/٦، وانظر: لسان العرب ٣٥٣/١٥ .

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤٣/٦ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

قال الله - عز وجل -: (قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ) [البقرة: ١٢٠] .

أي: الصراط المستقيم الذي دعا إليه، وهو طريق الحق.

وقال: (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) [الليل: ١٢] .

أي: إن علينا تبيين طريق الهدى من طريق الضلال.

وقال - تعالى - : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ) [فصلت: ١٧] .

أي: آثروا الضلالة على الهدى(٧).

فهذا هو معنى الهداية في اللغة: الدلالة، والإرشاد، والتبيين، والتبصير.

ويرى أبو هلال العسكري -رحمه الله-: أن هناك فروقاً دقيقة بين بعض هذه المعاني المترادفة، يقول -رحمه الله- مفرقاً بين الهداية والإرشاد: "الفرق بين الهداية والإرشاد أن الإرشاد إلى الشيء هو التطريق إليه، والتبيين له.

والهداية هي التمكن من الوصول إليه"(٨).

ثم يؤيد ذلك بقوله: "وقد جاءت الهداية للمهتدي في قوله - تعالى -: (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) فذكر أنهم دعوا بالهداية، وهم مهتدون لا محالة، ولم يجيء مثل ذلك في الإرشاد"(٩).

ثم ذكر فرقاً آخر، فقال: "ويقال - أيضاً -: هداه إلى المكروه، كما قال الله -تعالى-: (فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ).

وقال - تعالى -: (إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ).

والهدى: الدلالة؛ فإذا كان مستقيماً فهو دلالة إلى الصواب.

والإيمانُ هدىً؛ لأنه دلالة إلى الجنة، وقد يقال: الطريق هدى، ولا يقال: أرشد إلا إلى المحبوب، والراشد هو القابل للإرشاد"(١٠).

---

(٧) انظر: لسان العرب ١٥/٣٥٣-٣٥٤ .

(٨) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص٣٦٥ .

(٩) المرجع السابق ص٣٦٥ .

(١٠) المرجع السابق ص٣٦٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

هذا ويذكر أهل الوجوه والنظائر أن لفظ الهداية، وما يرادفها كالهدى، ونحوه يطلق على وجوه عدة أشـــهرها من غير ما ذكر آنفاً: الإسلام، والإيمان، والقرآن، والتوراة، والمعرفة، والرشاد، والسُّنة، والتوبة، والتوحيد(١١).

المسألة الثانية: مفهوم الإضلال لغةً

أصل هذه المادة الضاد واللام، (ضَلَّ).

قال ابن فارس-رحمه الله-: "الضاد، واللام: أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء، وذهابه في غير حقه.

يقال: ضل يَضِل، ويَضَل، لغتان"(١٢).

إلى أن قال مبيناً ما تطلق عليه هذه المادة من المعاني: "وكلُّ جائرٍ عن القصد ضالٌّ.

والضلالُ، والضلالة بمعنىً، ورجل ضِلّيل، ومضلِّل: إذا كان صاحب ضلال وباطل"(١٣).

ثم قال مؤكداً ما ذكره من معنى هذه المادة: "ومما يدل على أن أصل الضلال ما ذكرناه - قولهم: أُضِل الميت: إذا دُفِن؛ وذاك كأنه قد ضاع.

ويقولون: ضل اللبن في الماء"(١٤).

والضلالة - كما يقول الجرجاني - هي "فقدان ما يُوْصِلُ إلى المطلوب، وقيل: سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب"(١٥).

والضلال - كما يقول الكفوي -: "كل عدول عن المنهج عمداً، قليلاً كان أو كثيراً؛ فهو ضلال"(١٦).

والإضلال مقابل الاهتداء(١٧).

والإضلال في كلام العرب ضد الهداية، والإرشاد؛ يقال: أضللت فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطريق.

---

(١١) انظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني ص٤٧٣، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ٢/٢١٢، ٢/٢٢٦، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم د. سليمان القرعاوي ص٦٣٢-٦٤٠ .

(١٢) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٥٦.

(١٣) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٥٦.

(١٤) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٥٦.

(١٥) التعريفات للشريف الجرجاني ص١٣٨ .

(١٦) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص٥٦٧ .

(١٧) المرجع السابق ص٢١١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

قال لبيد بن أبي ربيعة-رضي الله عنه- وهو في الجاهلية[١٨]:

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل[١٩]

ويشير أبو هلال العسكري إلى معنى آخر من معاني الضلال، فيقول: "وأصل الضلال: الهلاك، ومنه قولهم: ضلت الناقة إذا هلكت بضياعها، وفي القرآن: (أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ) أي: هلكنا بِتَقَطُّع أوصالنا"[٢٠].

وقال مفرقاً بين الغيّ والضلال بعد أن أوضح أن أصل الغي: الفساد: "فالذي يوجبه أصل الكلمتين أن يكون الضلال عن الدين أبلغ من الغي فيه.

ويستعمل الضلال - أيضاً - في الطريق كما يستعمل في الدين؛ فيقال: ضل عن الطريق إذا فارقه.

ولايستعمل الغي إلا في الدين خاصةً؛ فهذا فرق آخر"[٢١].

ثم أشار إلى أن الضلال يأتي بمعنى الضياع، ومنه قوله - تعالى -: (وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ) أي: ضائعاً في قومك لا يعرفون منزلتك.

ويجوز أن يكون ضالاً في قوم ضالين؛ لأن من أقام في قوم نُسِبَ إليهم، كما يقولون: خالد الحذَّاء؛ لنزوله بين الحذَّائين، أبو عثمان المازني؛ لإقامته في بني مازن، ولم يكن منهم[٢٢].

كما أشار إلى أن الضلال يأتي بمعنى الإبطال، واستدل على ذلك بقوله -تعالى-: (أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ) أي: أبطلها[٢٣].

هذا وتأتي مادة (ضل) وما يتصرف منها في القرآن الكريم في عدة وجوه يذكرها أهل الوجوه والنظائر، وأشهرها: الكفر، والخسار، والشقاء، والإبطال، والجهالة، والنسيان[٢٤].

فهذا - إذاً - هو مفهوم الإضلال، واستعمالاته في كافة تصاريفه.

---

(١٨) انظر: لسان العرب ١١/٣٩٠-٣٩١ .

(١٩) الأصمعيات، للأصمعي ص٧٤ .

(٢٠) الفرق في اللغة ص٣٧٤ .

(٢١) الفرق في اللغة ص٣٧٤-٣٧٥ .

(٢٢) انظر: الفرق في اللغة ص٣٧٥.

(٢٣) انظر: الفرق في اللغة ص٣٧٦.

(٢٤) انظر: الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٩٢، ونزهة الأعين النواظر ٢/٢٢، والوجوه والنظائر للقرعاوي ص٤٤٠-٤٤٣ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

المطلب الثاني: مفهوم الهداية والإضلال شرعاً

المسألة الأولى: مفهوم الهداية شرعاً

سبق في المسألة الماضية الكلام على مفهوم مادة (الهداية) لغة، وما تدور حوله من معاني: الدلالة، والإرشاد، والتبيين، والتبصير، وما جرى مجرى ذلك من إطلاقاتها في القرآن الكريم.

ولا ريب أن المدلول الشرعي بمقربة من المدلول اللغوي لأصل المادة – عموماً –.

والهداية مصطلح شرعي، والمقصود بها ههنا الهداية الربانية.

والوقوف على مفهوم ذلك المصطلح يحتاج إلى عرض ما تتبين به الهداية في مفهومها الواسع، وما تتحدد به من كونها مقابلةً للإضلال.

ولا بد في ذلك من بيان أقسامها، وأنواعها؛ إذ هي تنقسم، وتتنوع باعتبارات، ثم يتوصل من بعد ذلك إلى تعريفها الشرعي، وهذا ما سيتبين من خلال ما يلي:

أولاً: مراتب الهداية الربانية للإنسان: تنقسم الهداية الربانية للإنسان إلى أربع مراتب(٢٥):

المرتبة الأولى: الهداية العامة: وهي هداية كل نفس إلى مصالح معاشها، وما يقيها، وهي أعم المراتب.

قال الله – عز وجل –: (رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) [طه: ٥٠] (٢٦).

المرتبة الثانية: الهداية بمعنى البيان، والدلالة، والإرشاد، والتعليم، والدعوة إلى مصالح العبد في معاده.

وهذه خاصة بالمكلفين، وهي التي عم بجنسها كل مكلف من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية(٢٧).

قال ابن القيم–رحمه الله– عن هذه المرتبة: "وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق، واتِّباع الحق، وإن كانت شرطاً فيه، أو جزءَ سببٍ.

---

(٢٥) وقد ارتضى هذه القسمة كثير من العلماء، ومن أبرز من فصل فيها الراغب الأصفهاني في مفرداته، وابن القيم في شفاء العليل، وسيأتي ذكر لما أورداه في ذلك .

(٢٦) انظر: شفاء العليل ص١٤١، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص٥٦٣ .

(٢٧) انظر: المفردات ص٣٦٣ ، وشفاء العليل ص١٤١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وذلك لا يستلزم حصول المشروط، بل قد يتخلَّف عنه المقتضى؛ إما لعدم كمال السبب، أو لوجود مانع"(٢٨).

ثم يعلل لذلك، ويستدل له؛ فيقول: "ولهذا قال - تعالى -: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ) [فصلت:١٧].

وقال: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ) [التوبة: ١١٥].

فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا؛ فأضلهم؛ عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً بعد أن عرفوا الهدى؛ فأعرضوا عنه؛ فأعماهم بعد أن أراهموه.

وهذا شأنه - سبحانه - في كل من أنعم عليه بنعمةٍ، فكفرها؛ فإنه يسلبه إياها بعد أن كان نصيبَه وحظَّه، كما قال - تعالى -: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ) [الأنفال: ٥٣] (٢٩).

المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام: وهي المستلزمة للاهتداء، والتي تعني توفيق الله، وإلهامه للعبد، ومشيئته الهداية له، وقذفها في قلبه(٣٠).

وهذه الهداية يختص الله بها من اهتدى، وهو المعنيُّ بقوله -تعالى-: (وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى) [محمد: ١٧].

وقوله: (وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ) [التغابن: ١١] (٣١).

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وهذه المرتبة أخصُّ من التي قبلها(٣٢)، وهي التي ضل جهال القدرية بإنكارها، وصاح عليهم سلف الأمة وأهل السنة منهم في نواحي الأرض عصراً بعد عصر إلى وقتنا الحاضر"(٣٣).

إلى أن قال: "وهذه المرتبة تستلزم أمرين: أحدهما فعل الرب - تعالى - وهو الهدى.

---

(٢٨) شفاء العليل ص١٦٨، وانظر: المفردات ص٥٦٣ .
(٢٩) انظر: شفاء العليل ص١٦٨ .
(٣٠) انظر: شفاء العليل ص١٤١ .
(٣١) انظر: المفردات ص٥٦٣ .
(٣٢) يعني المرتبة الثانية، وهي هداية البيان، والدلالة، والإرشاد .
(٣٣) شفاء العليل ص١٧٠ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

والثاني فعل العبد، وهو الاهتداء، وهو أثر فعله - سبحانه - فهو الهادي، والعبد: المهتدي، قال -تعالى-: (وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ) [الإسراء: ٩٧].

ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام؛ فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد، ولهذا قال -تعالى -: (إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ) [النحل: ٣٧] (٣٤).

المرتبة الرابعة: الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة: قال الله - تعالى -: (ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ) [الصافات: ٢٥].

قال الراغب: "فإن قيل: كيف جُعلت الهداية دلالة بلطف، وقد قال الله -تعالى-: (فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ)، (وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ) [الحج: ٤] قيل: ذلك استعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم، كقوله: (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [الانشقاق: ٢٤].

وقول الشاعر:

..... تحية بينهم ضرب وجيع(٣٥)(٣٦)

وقال - تعالى - : (وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) [محمد].

---

(٣٤) شفاء العليل ص١٧٠، وانظر: ١٧١-١٧٣ .

(٣٥) هذا عجز بيت ينسب لعمرو بن معديكرب الزبيدي وغيره، وصدره:

وخيل قد دلفت لها بخيل .....

من قصيدة مطلعها:

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

انظر: خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي ٢/٢٩٢.

(٣٦) المفردات ص٥٦٣ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

قال ابن القيم-رحمه الله- تعليقاً على هذه الآية: "فهذه هداية بعد قتلهم؛ فقيل: المعنى: يهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح بالهم في الآخرة بإرداء خصومهم، وقبول أعمالهم"(٣٧).

فهذه هي مراتب الهداية الأربع.

ثانياً: الفرق بين هداية الدلالة والإرشاد وهداية التوفيق والإلهام: الفرق هو أن الأولى ثابتة للرسل، وأتباعهم من الدعاة إلى الله، ولا تستلزم التوفيقَ، وقبولَ الحقِّ، واتباعَه.

وأما الثانية فهي بيد الله وحده لا شريك له؛ ولا تكون لأحد سواه، وهي التي يختص بها من يشاء من عباده.

قال ابن القيم: "وهذه الهداية(٣٨) هي التي أثبتها لرسوله؛ حيث قال: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الشورى: ٥٢].

ونفى عنه تلك الهداية الموجبة، وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ) [القصص: ٥٦].

إلى أن قال ذاكراً الجمع بينهما: "قال - تعالى -: (وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [يونس: ٢٥].

فجمع - سبحانه - بين الهدايتين العامة والخاصة؛ فعَمَّ بالدعوة حجةً مشيئةً، وعدلاً.

وخصَّ بالهداية نعمةً مشيئةً، وفضلاً"(٣٩).

وقال الراغب الأصفهاني بعد أن ذكر مراتب الهدية: "وكل هداية ذكر الله - عز وجل - أنه منع الظالمين، والكافرين - فهي الهداية الثالثة، وهي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة، وإدخال الجنة، نحو قوله - عز وجل -: (كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) [آل عمران: ٨٦]" (٤٠) .

---

(٣٧) شفاء العليل ص ١٧٩-١٨٠ .

(٣٨) يعني هداية الدلالة والإرشاد .

(٣٩) شفاء العليل ص١٦٩ .

(٤٠) المفردات ص٥٦٤ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

إلى أن قال: "وكل هداية نفاها الله عن النبي-صلى الله عليه وسلم- وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص من الدعاء، وتعريف الطريق[٤١].

وذلك كإعطاء العقل، والتوفيق، وإدخال الجنة، كقوله - عَزَّ ذِكْرُه -: (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ) [البقرة: ٢٧٢]" [٤٢].

ثم أورد جملة من الآيات في هذا السياق[٤٣].

ثالثاً: معنى هدايةِ الصراطِ المستقيم: معناها: الدلالة إلى دين الإسلام، والإرشاد إليه، والتوفيق لقبوله، وترك ما سواه من الأديان، وسلوك ما تحصل به السلامة والنجاة من الضلالة.

وذلك شامل للهداية إلى الصراط، والهداية فيه.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسير قوله - تعالى -: (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: ٦]: "أي: دلنا، وأرشدنا، ووفقنا إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق، والعمل به"[٤٤].

ثم أشار إلى ملمح لطيف في هذا السياق، وهو الهداية[٤٥] إلى الصراط، والهداية في الصراط، فقال: "فاهدنا إلى الصراط، واهدنا في الصراط؛ فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان.

والهداية في الصراط: تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً، وعملاً"[٤٦].

قال ابن القيم-رحمه الله-: "وأمر الله - سبحانه - عباده كلهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس.

---

(٤١) يقصد بقوله: (فهي ما عدا المختص من الدعاء، وتعريف الطريق): هداية التوفيق والإلهام .

(٤٢) المفردات ص٥٦٤ .

(٤٣) انظر: المفردات ص٥٦٤ .

(٤٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي ص٢٥ .

(٤٥) يعني هداية التوفيق والإلهام .

(٤٦) تيسير الكريم الرحمن ص٢٥، وانظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ١/١٨٧-١٨٨ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وذلك يتضمن الهداية إلى الصراط، والهداية فيه"(٤٧).

وقال في موضع آخر: "الهداية إلى الطريق شيء، والهداية في نفس الطريق شيء آخر؛ ألا ترى أن الرجل يعرف أن طريق البلد الفلاني هو طريق كذا وكذا، ولكن لا يحسن أن يسلكه؛ فإن سلوكه يحتاج إلى هداية خاصة في نفس السلوك، كالسير في وقت كذا دون وقت كذا، وأخذ الماء من مفازة كذا مقدار كذا، والنزول في موضع كذا دون كذا؛ فهذه في نفس السير يهملها من هو عارف بأن الطريق هي هذه؛ فيهلك، وينقطع عن المقصود"(٤٨).

هذا وسيوضّح ما ذُكر ههنا ما سيأتي في الفقرتين التاليتين.

رابعاً: الهداية المجملة، والهداية المفَصَّلة: وقد مرت الإشارة إليها في الفقرة الماضية.

قال ابن رجب-رحمه الله- في معرض شرحه لسؤالِ المؤمنِ الهدايةَ من الله: "فإن الهداية نوعان: هداية مجملة: وهي الهداية للإسلام، والإيمان، وهي حاصلة للمؤمن.

وهداية مفصلة: وهي هدايته إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان، والإسلام، وإعانته على فعل ذلك"(٤٩).

خامساً: تفاصيل الهداية إلى الصراط المستقيم: مرت الإشارة إلى أن من أنواع الهداية: الهداية المفصلة، والكلام في هذه الفقرة مزيد بسط وإيضاح لتلك الهداية.

قال ابن القيم-رحمه الله- في معرض كلام له عن افتقار العبد إلى الهداية في كل لحظة ونَفَسٍ في جميع ما يأتيه ويذره، قال معللاً لذلك، مبيناً من خلاله تفاصيل الهداية، ومدى حاجة العبد إليها: "فإنه بين أمور لا ينفك عنها:

أحدها: أمور قد أتاها على غير وجه الهداية جهلاً، فهو محتاج إلى أن يطلب الهداية إلى الحق فيها.

أو يكون عارفاً بالهداية فيها، فأتاها على غير وجهها عمداً، فهو محتاج إلى التوبة منها.

أو أمور لم يعرف وجه الهداية فيها علماً ولا عملاً، ففاتته الهداية إلى علمها ومعرفتها، وإلى قصدها وإرادتها وعملها"(٥٠).

ويواصل ذكره لتفاصيل الهداية، فيقول: "أو أمور قد هدي إليها من وجه دون وجه، فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها.

أو أمور قد هدي إلى أصلها دون تفاصيلها، فهو محتاج إلى هداية التفصيل.

---

(٤٧) شفاء العليل ص١٧٢ .

(٤٨) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، لابن القيم ص٩ .

(٤٩) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ١/٤٠ .

(٥٠) المرجع السابق ص٨ ، وانظر: شفاء العليل ص١٧٢ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

أو طريق قد هدي إليها، وهو محتاج إلى هداية أخرى فيها"(٥١).

ثم يذكر تفاصيل أخرى من ذلك القبيل، فيقول: "وكذلك - أيضاً - ثَم أمور هو محتاج إلى أن يحصل له فيها من الهداية في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي.

وأمور هو خالٍ عن اعتقاد حق أو باطل فيها، فهو محتاج إلى هداية الصواب فيها.

وأمور يعتقد أنه فيها على هدى وهو على ضلالة ولا يشعر، فهو محتاج إلى انتقاله عن ذلك الاعتقاد بهداية من الله"(٥٢).

ويختم كلامه في هذا السياق، قائلاً: "وأمور قد فعلها على وجه الهداية، وهو محتاج إلى أن يهدي غيره إليها، ويرشده، وينصحه، فإهماله ذلك يفوت عليه من الهداية بحسبه كما أن هدايته للغير، وتعليمه، ونصحه يفتح له باب الهداية، فإن الجزاء من العمل، فكلما هدى غيره وعلّمه هداه الله وعلَّمه، فيصير هادياً مهديًّا"(٥٣).

سادساً: تعريف الهداية شرعاً: من خلال ما مضى تبيَّن مفهوم الهداية شرعاً من جهة أنها مراتب يدخل فيها الهداية العامة، وهداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام، والهداية للجنة أو النار.

كما تبيَّن مفهوم هداية الصراط المستقيم، وشمولها للهداية إليه وفيه، ومعنى الهداية المجملة، والمفصلة.

فالهداية - إذاً - هي إيجاد الهدى، وهداية الله للعبد جعله مهتدياً.

وذلك يعني: اصطفاء الله للعبد، وعلمه بهدايته، وكتابتها له، ومشيئتها منه، وخلقها فيه؛ لحكم، وأسباب.

وبناءً على ذلك فإن الهداية يمكن أن تُعَرَّف شرعاً بأنها: تقديرُ اللهِ الاهتداءَ للعبد بدلالته إلى الصراط المستقيم، وتوفيقه، وإلهامه لقبوله، وسلوكِه سبيله؛ حكمة وتفضلاً.

ولعل في هذا التعريف جمعاً للقيود والأفراد التي تدخل تحته؛ إذ هو مشتمل على:

١- كون الهداية بتقدير الله، وذلك شامل لمراتب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

٢- كونه مشتملاً على نوعي الهداية، وهما هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام.

٣- كونه مرتبطاً بالحكمة الربانية، والفضل الإلهي، وليس لمجرد محض المشيئة(٥٤).

---

(٥١) رسالة ابن القيم ص ٨-٩ .

(٥٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ص٩، وانظر: شفاء العليل ص ١٧٢-١٧٣ .

(٥٣) رسالة ابن القيم ص ٩-١٠ .

(٥٤) وسيأتي مزيد بيان لذلك في المسألة التالية، والمبحثين: الثاني والثالث .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

فهذا هو التعريف المختار للهداية شرعاً.

وبهذا ينتهي الكلام على مفهوم الهداية لغة، وشرعاً.

المسألة الثانية: مفهوم الإضلال شرعاً

سبق الكلام على مفهوم الإضلال لغة، وأن أصله مادة (ضل).

وتبين من خلال ذلك أن معاني الإضلال في الأصل ترجع إلى ذهاب الشيء، وذهابه في غير حقه، وأن الإضلال ضد الهداية والإرشاد، وأنه يطلق كذلك على الكفر، والخسار، والشقاء، والبطلان، والجهالة، ونحو ذلك.

والمدلول اللغوي -كما هو معلوم - بمقربة من المدلول الاصطلاحي الشرعي، وإن كان الشرع يخصص اللغوي، ويقيد دلالته.

والإضلال مصطلح شرعي، وله -بكافة تصاريفه التي وردت في الكتاب والسنة مدلول خاص-.

والوقوف على ذلك المصطلح يحتاج إلى عرض يتبين من خلاله مفهومه؛ إذ هو كالهداية من جهة أنه يتنوع، وينقسم باعتبارات.

وقبل الشروع في مفهوم الإضلال شرعاً لا بد من الوقوف على معنى الضلال في لسان الشرع؛ إذ الضلال، والإضلال متداخلان متشابكان من وجوه عدة، وهذا ما سيتبين من خلال ما يلي:

أولاً: مفهوم الضلال في الشرع: إذا كانت الهداية شرعاً: هي الاهتداء إلى الصراط، وتعني الهداية إليه، وفيه -كما مر - فإن الضلال هو العدول عن الصراط المستقيم(٥٥).

فالضلال مضادٌّ للهدايةِ والاهتداءِ؛ قال الله - تعالى -: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ [يونس: ١٠٨].

وغالباً ما يأتي الضلال في الشرع مقابلاً للهداية، والاهتداء.

قال الراغب في تعريف الضلال: "الضلال هو العدول عن الصراط المستقيم، ويضاده الهداية"(٥٦).

---

(٥٥) انظر: المفردات ص٣٠٨ .

(٥٦) المفردات ص٣٠٨ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وقال ابن عاشور: "والضلال في لسان الشرع مقابل للاهتداء"(٥٧).

ثانياً: مراتب الضلال: الضلال مراتب، ويطلق على أعلاها، ويطلق على أدناها.

قال الراغب: "ويقال: الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان، أو سهواً، يسيراً كان، أو كثيراً؛ فإن الصراط المستقيم الذي هو المرتضى صعب جداً"(٥٨).

ثم استشهد لذلك بقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: "استقيموا ولن تحصوا"(٥٩).

وقال - أيضاً - مؤكداً ما قرره في ذلك: "فإذا كان الضلالُ تركَ الطريق المستقيم عمداً كان، أو سهواً، قليلاً كان، أو كثيراً - صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأٌ ما"(٦٠).

ثم علل لما قرره آنفاً بقوله: "ولذلك نُسِب الضلال إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بَوْنٌ بعيد؛ ألا ترى أنه قال في النبي-صلى الله عليه وسلم-: (وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ): [الضحى: ٧] أي: غير مهتدٍ لما سبق إليك من النبوة، وقال في يعقوب: (إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ) [يوسف: ٩٥]، وقال أولاده: (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) [يوسف: ٨]، وقال عن موسى -عليه السلام-: (وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ) [الشعراء: ٢٠] نسبة إلى أن ذلك منه سهو"(٦١).

وقال ابن عاشور مشيراً إلى مراتب الضلال الذي هو مقابل للاهتداء الشرعي بخصوصه: "والاهتداء هو الإيمان الكامل، والضلال ما دون ذلك.

قالوا: وله(٦٢) عَرْضٌ عريض؛ أدناه: ترك السنن، وأقصاه: الكفر"(٦٣).

---

(٥٧) تفسير التحرير والتنوير ١٩٩/١ .

(٥٨) المفردات ص٣٠٨ .

(٥٩) أخرجه مالك (٦٥)، وأحمد (٢٢٤٣٦)، وابن المبارك في الزهد (١٢٠٤) وهو صحيح بمجموع طرقه.

(٦٠) المفردات ص٣٠٩ .

(٦١) المفردات ص٣٠٩ .

(٦٢) يعني: الضلال .

(٦٣) تفسير التحرير والتنوير ١٩٩/١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

إلى أن قال: "وقد فسَّـــرنا الهداية أنها الدلالة بلطف؛ فالضـــلال عدم ذلك، ويطلق على أقصـــى أنواعه: الختم، والطبع، والأكِنَّة"(٦٤).

فالضلال - إذاً - يطلق على أقصى درجات الكفر والفساد، وعلى أدنى خطأ كان أو عمداً،أو سهواً، وعلى ما بينهما من برازخ، وهذا ما سيتبين في الفقرات التالية:

ثالثاً: أقسام الضلال: ينقسم الضلال - باعتبار - إلى قسمين: أحدهما: ضلال في العلوم النظرية، والآخر: ضلال في العلوم العملية.

وإلى هذا التقسيم أشار الراغب في مفرداته، قال-رحمه الله-: "والضلال من وجه آخر ضربان: ضلال في العلوم النظرية: كالضلال في معرفة الله، ووحدانيته، ومعرفة النبوة، ونحوهما(٦٥) المشار إليهما بقوله: (وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا) [النساء: ١٣٦].

وضلال في العلوم العملية: كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات"(٦٦).

رابعاً: مفهوم الضلال البعيد: الضلال البعيد في لسان الشرع هو الكفر(٦٧).

قال - تعالى -: (وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا).

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "وأي ضلال أبعد مِنْ ضلال ترك طريق الهدي المستقيم، وسلك الطريق الموصلة إلى العذاب الأليم"(٦٨).

إلى أن قال: "واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات(٦٩) كالكفر بجميعها؛ لتلازمها، وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض"(٧٠).

---

(٦٤) تفسير التحرير والتنوير ١٩٩/١ .

(٦٥) يعني بقية الأركان .

(٦٦) المفردات ص٣٠٩ .

(٦٧) انظر: المفردات ص٣٠٩ .

(٦٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٨٨ .

(٦٩) يعني بها: المذكورة في الآية، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم والآخر .

(٧٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٨٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وقال - عز وجل -: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا) [النساء: ١٦٧].

وقال: (بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ) [سبأ: ٨]. أي: في عقوبة الضلال البعيد(٧١).

خامساً: المقصود بالضالين: هم من ضلُّوا عن الهدى، وتركوا الحق عن جهل وضلال(٧٢).

قال ابن عاشور-رحمه الله- في تفسير قوله - تعالى -: (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) [الفاتحة: ٧]: والمراد من المغضوب عليهم: جنسا فِرقِ الكفر"(٧٣).

ثم أوضح معنى المغضوب عليهم فقال: "فالمغضوب عليهم: جنس للفِرق التي تعمدت ذلك، واستخفت بالديانة عن عمدٍ، وعن تأويل بعيد جداً تَحْمِل عليه غلبةُ الهوى؛ فهؤلاء سلكوا من الصراط المستقيم الذي خُط لهم مسالكَ غير مستقيمة؛ فاستحقوا الغضب؛ لأنهم أخطأوا عن غير مَعْذِرة؛ إذ ما حملهم على الخطأ إلا إيثار حظوظ الدنيا"(٧٤).

ثم أوضح المقصود بالضالين، فقال: "والضالون: جنس للفرق الذين حرَّفوا الديانات الحق عن عمد، وعن سوء فهم"(٧٥).

ثم بيَّن أن كلا الفريقين: المغضوب عليهم، والضالين - مذمومٌ معاقب، وعلل لذلك بأن الخلق مأمورون باتباع سبيل الحق، وبذل الجهد إلى إصابته، والحذر من مخالفته مقاصده(٧٦).

ثم قال - بعد ذلك -: "وما ورد في الأثر من تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى - فهو من قبيل التمثيل بأشهر الفِرَق التي حقَّ عليها هذان الوصفان"(٧٧).

سادساً: تعريف الإضلال شرعاً: من خلال ما مضى من بيان مفهوم الإضلال، يتبين أن الضلال ضد الهداية، والاهتداء، وأنه عدولٌ عن الصراط المستقيم، وأنه مراتب بعضها دون بعض.

---

(٧١) انظر: المفردات ص٣٠٩ .
(٧٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٦ .
(٧٣) تفسير التحرير والتنوير ١٩٩/١.
(٧٤) تفسير التحرير والتنوير ١٩٩/١.
(٧٥) المرجع السابق ١٩٩/١.
(٧٦) انظر: المرجع السابق ١٩٩/١.
(٧٧) المرجع السابق ١٩٩/١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وهذا يبين أن الضلال فعل العبد، ونتيجة أفعاله؛ إذ يقال للضال: ضل.

أما الإضلال: فهو من الله - عز وجل - فهو الذي يُضِل من يشاء، ويهدي من يشاء.

قال ابن القيم-رحمه الله- بعد أن قرر أن الرسل - عليهم السلام - قد اتفقوا على أن الهدى، والإضلال بيد الله - سبحانه - لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال، أو المهتدي، قال: "فالهداية والإضلال فعله - سبحانه - وقدره، والاهتداء، والضلال فعل العبد وكسبه"(٧٨).

فالإضلال - إذاً - إيجاد الضلال، وأُضِل فلان: جُعِل ضالاً، وأضله الله: أي جعله ضالاً.

وإضلال الله للعبد: جعله ضالاً، أي: من أهل الضلال، والشقاء.

وذلك يعني علمَ اللهِ بضلال العبد، وكتابتَهُ عليه، ومشيئتَهُ له، وخَلْقَهُ فيه؛ لحكمة، وأسباب.

وبناءً على ذلك فإنه يمكن تعريف الإضلال شرعاً بأنه: تقدير اللهِ الضلالَ على العبد بخذلانه له، وترك توفيقه، وصرفه عن الاهتداء إلى أصل الصراط المستقيم، أو بعض تفاصيله؛ حكمةً، وعدلاً.

ولعل في هذا التعريف المختصر جمعاً للقيود، والأفراد التي تدخل تحته؛ إذ هو مشتمل على:

١- كونه بتقدير الله، وذلك شاملٌ لمراتب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

٢- كونه شاملاً للإضلال عن الهداية إلى الصراط، أو فيه؛ فيدخل ضمن ذلك: إضلال العبد عن الهداية العامة المجملة التي هي الإضلال عن الإسلام أساساً، أو إضلاله عن الهداية الخاصة المفصلة التي تعني تفاصيل الهداية.

٣- كونه مشتملاً على بيان أن الإضلال مرتبط بالعدل الإلهي، والحكمة الربانية، وليس لمحض المشيئة فحسب(٧٩).

فهذا - إذاً - هو مفهوم الإضلال شرعاً.

وبهذا ينتهي المبحث الأول الذي دار حول مفهوم الهداية والإضلال.

---

(٧٨) شفاء العليل ص١٤١.

(٧٩) هذا وسيأتي مزيد بيان وتفصيل لذلك في المطلب الثاني عند تفصيل الكلام على انفراد الله بالهداية والإضلال، والكلام على أسبابهما، وكذلك في المبحث الثالث عند الكلام على ارتباط مسألة الهداية والإضلال بالقدر السابق، والحكمة الربانية، وسر القدر الإلهي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

المبحث الثاني: انفرادُ اللهِ بهما، وأسبابُهما

المطلب الأول: انفراد الله بالهداية والإضلال

من خلال ما مضى من بيان مفهوم الهداية، والإضلال شرعاً - يتبين انفراد الله - عز وجل - بالهداية والإضلال؛ فذلك من مقتضيات ربوبيته، وانفراده بها -تبارك وتعالى-.

فكما أنه - وحده - المنفرد بالرزق، والخلق، والإحياء، والإماتة، والإعطاء، والمنع، ونحو ذلك من مقتضيات الربوبية - فهو كذلك المنفرد بالهداية، والإضلال؛ فلا هادي إلا هو، ولا مضلَّ إلا هو.

قال - جل ثناؤه -: (مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ) [الأعراف: ١٧٨].

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "قال - تعالى - مبيناً أنه المنفرد بالهداية والإضلال: (مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ) بأن يوفقه للخيرات، ويعصمه من المكروهات، ويعلمه ما لم يكن يعلم.

(فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ) حقًّا؛ لأنه أثر هدايته - تعالى - (وَمَن يُضۡلِلۡ) فيخذله، ولا يوفقه للخير (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ) لأنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين"(٨٠).

وقال - تعالى -: (وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ...) [الإسراء: ٩٧].

قال السعدي في تفسيرها: "يخبر - تعالى - أنه المنفرد بالهداية والإضلال؛ فمن يهده؛ فييسره لليسرى، ويجنبه العسرى - فهو المهتدي على الحقيقة.

ومن يُضْلِلْه؛ فيخذله، ويكِله إلى نفسه - فلا هادي له من دون الله"(٨١).

وقال-رحمه الله- في قوله - تعالى -: (مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا) [الكهف: ١٧] قال: "أي لا سبيل إلى الهداية إلا من الله؛ فهو الهادي المرشد إلى مصالح الدارين.

---

(٨٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٨٧ .

(٨١) المرجع السابق ص٤٤١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

(وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا): أي لا تجد من يتولاه، ويدبره على ما فيه صلاحه، ولا يرشد إلى الخير والفلاح؛ لأن الله قد حكم عليه بالضلال، ولا رادَّ لحُكْمِه"(٨٢).

قال ابن القيم-رحمه الله- مقرراً هذا المعنى: "وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم على أنه - سبحانه - يُضِل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد"(٨٣).

وعقد-رحمه الله- في (شفاء العليل) باباً جمع فيه ما يدخل تحت الإضلال، فقال: "الباب الخامس عشر: في الطبع، والختم، والقَفْل، والغُل، والسد، والغشاوة، والحائل بين الكافر وبين الإيمان، وأن ذلك مجعول للرب - تعالى -"(٨٤).

ثم فَصَّل القول في ذلك، وأثبت من خلاله أن ذلك كله بيد الله - تعالى - وأنه وحده المنفرد به دون من سواه(٨٥).

وهكذا يتبين أن الله - عز وجل - هو المنفرد بالهداية والإضلال.

وهذا لا ينافي أن يهدي بعض المخلوقين بعضاً، وأن يضل بعضهم بعضاً.

أما هدايتهم لبعض فقد مرت الإشارة إليها عند الكلام على الفرق بين هداية الدلالة والإرشاد، وبين هداية التوفيق والإلهام؛ حيث إن الخلق يهدي بعضهم بعضاً الهدايةَ الأولى دون الثانية.

وكذلك الحال بالنسبة للإضلال؛ فإن بعض الخلق قد يضل بعضاً بالإغواء، والتزيين، والاستخفاف، والتسلط، والدلالة على الشر، والباطل، ونحو ذلك مما هو من صنيع الشياطين، ورفاق السوء، ودعاة الضلالة؛ فإضلال المخلوقين بعضهم بعضاً هو من هذا الباب.

وليس بأن يُقْذَفوا في قلوبهم الضلالة، وذلك بعدم توفيقهم لقبول الهداية؛ فذلك بيد الله وحده-كما مر-.

---

(٨٢) المرجع السابق ص٤٤٦.

(٨٣) شفاء العليل ص١٤١.

(٨٤) شفاء العليل ص١٨١.

(٨٥) انظر: المرجع السابق ص ١٨١-٢٣٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

قال - عز وجل - عن الشيطان: (وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ) [يس: ٦٢] أي خلقاً كثيراً(٨٦).

وقال عن الذين أضلهم رفاق السوء: (وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا) [الفرقان].

وقال عن الذين أطاعوا أكابرهم دونما بيّنة: (وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠) [الأحزاب: ٦٧].

وقال عن فرعون: (فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ) [الزخرف: ٥٤]، وقال: (وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ) [طه: ٧٩].

وهكذا يتضح الفرق بين الإضلال المنفرد به الله - عز وجل - والإضلال الذي هو بمقدور المخلوقين، ويتبين أن لا تنافي بين انفراد الله - عز وجل - بالهداية والإضلال، وكون المخلوقين قد يهدي بعضهم بعضاً، ويضل بعضهم بعضاً(٨٧).

المطلب الثاني: أسباب الهداية والإضلال عموماً

مر في المسألة الماضية أن الله - عز وجل - منفرد بالهداية والإضلال، وأنهما بيده لا بيد غيره؛ فهو الهادي لمن شاء، المضل لمن شاء، وما اهتدى أحد إلا بمشيئته، ولا ضلَّ إلا بمشيئته.

ولكن ذلك لا يعني الجبرية، ولا أن الإنسان مسلوب الإرادة، ولا يعني -أيضاً- تعطيل الأسباب، أو أن الهداية والإضلال لمحض المشيئة دون حكمةٍ، أو أسبابٍ يأخذ بها العباد؛ إذ لابد لحصول كل واحد منهما أسباب؛ شأنهما شأن غيرهما من المرتبطة بالأخذ بالأسباب، كالرزق، والعلم، والعلاج، والمغفرة ونحوها مما يحتاجه العباد في دنياهم وأخراهم، ومما هو بيد الله - تبارك وتعالى -، وأن ذلك لا ينافي حصوله بأسباب؛ فكذلك الهداية والإضلال؛ إذ هناك أسباب تقود إلى الهداية، وهناك أسباب تقود إلى الضلال(٨٨).

---

(٨٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٥ .

(٨٧) انظر: شفاء العليل ص١٤١، و١٨١، وتيسير الكريم الرحمن ص٢٨٧، و٤٤٦ .

(٨٨) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان ٦٢٩/٢، وشفاء العليل ص٥٠-٥٣، والشيخ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

قال الراغب الأصفهاني مبيناً أسباب حصول الهداية والضلالة على وجه الإجمال، وأنها راجعة إلى الرغبة في الهدى، وطلبه، وتحرّيْه، قال: "وإلى هذا المعنى أشار بقوله - تعالى -: (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ) [يونس: ٩٩]، وقوله: (وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ) [الإسراء: ٩٧]: أي طالب الهدى، ومتحرّيه هو الذي يوفقه، ويهديه إلى طريق الجنة، لا من ضادَّه؛ فيتحرى طرق الضلال، والكفر، كقوله: (وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ) [البقرة: ٢٦٤]، وفي أخرى: (ٱلظَّٰلِمِينَ)، وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ) [الزمر: ٣]" (٨٩).

ثم بيَّن معنى الكاذب الكفار، فقال: "الكاذب الكفار: هو الذي لا يقبل هدايته؛ فإن ذلك راجعٌ إلى هذا، وإن لم يكن لفظه موضوعاً لذلك"(٩٠).

ثم يزيد الأمر إيضاحاً؛ فيقول: "ومن لم يقبل هدايته لم يهده، كقولك: من لم يقبل هديتي لم أُهْدِ له، ومن لم يقبل عطيتي لم أُعْطِه، ومن رغب عني لم أرغب فيه"(٩١).

وقال السعدي مقرراً هذا المعنى: "ومشيئته -تعالى- لا تنافي ما جعله من الأسباب الدنيوية والأخروية؛ فقد أخبر في عدة آيات: أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

وفي آيات أخر أخبر بالأسباب التي تُنال بها هدايةُ الله، ويستحق العبد أن يبقى على ضلالة"(٩٢).

ثم أورد -رحمه الله- جملة من الآيات في هذا السياق(٩٣).

عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، د.عبدالرزاق البدر ٨٦-٨٩، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للشيخ السعدي ص١٢، والقضاء والقدر لأبي الوفاء محمد درويش ص٥٣-٦١، والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ الدوسري ص١١٨-١٢٤، والتوكل على الله وعلاقته بالأسباب د. عبدالله الدميجي ص١٦٣-١٩٤.

(٨٩) المفردات ص٥٦٤ .

(٩٠) المفردات ص٥٦٤ .

(٩١) المفردات ص٥٦٤ .

(٩٢) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية للسعدي ص٣٦ .

(٩٣) انظر: المرجع السابق ص ٣٦-٣٨ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وقال بعد ذلك مبيناً ارتباط الأسباب بالمسببات في أمور أخرى كالمغفرة، والعذاب، والزرق وغيرها، قال: "وكذلك أخبر في عدة آيات أنه يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وفي آيات أخر أخبر عن الأسبابِ التي تنال بها مغفرة الله، مثل قوله: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ) [طه: ٨٢]، والأسبابُ التي يستحق بها العذاب مثل قوله: (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ) [طه: ٤٨]"(٩٤).

ثم انتقل إلى الكلام في شأن الرزق، فقال: "وكذلك أخبر في آيات كثيرة أن يرزق من يشاء، ويوسع الرزق على من يشاء، ويقبضه عمن يشاء، وفي آيات أخر ذكر الأسباب التي ينال بها رزقه، مثل قوله: (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) [الطلاق: ٣]، وقوله: (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ) [الطلاق: ٣]، وقوله: (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا) [الطلاق: ٣].

كما ثبت في الصحيح(٩٥) عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله - فليصل رَحِمَه"(٩٦).

ثم ختم كلامه في هذا السياق، فقال: "وجميع المطالب الدنيوية، والأخروية جعل لها أسباباً متى سلكها الإنسان حصل على مطلوبه.

وقد جمع النبي-صلى الله عليه وسلم- ذلك كله في كلمة واحدة، فقال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله) (٩٧).

فقوله: (احرص على ما ينفعك): أي في دينك ودنياك، واسلك كل طريق يوصلك إلى هذه المنفعة.

ولكن لا تتكِّل على حولك، وقوَّتك، بل توكل على الله، واستعن به؛ فمن فعل ذلك فهو عنوان سعادته ونجاحه، وإلا فلا يَلُمِ العبد إلا نفسه"(٩٨).

فهذه أسباب الهداية والإضلال على سبيل الإجمال.

---

(٩٤) الدرة البهية ص٣٧ .

(٩٥) صحيح البخاري (٥٩٨٥)، ومسلم (٢٥٥٧) .

(٩٦) الدرة البهية ص٣٧-٣٨ .

(٩٧) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

(٩٨) الدرة البهية ص٣٨ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ – ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

المطلب الثالث: أسباب الهداية مفصلة

الهداية تنال بأسباب كثيرة، مجملة ومفصلة.

أما إجمالها فبالرغبة فيها، وقبولِها، وسلوكِ السبل المفضية إليها – كما مر –.

أما تفصيل ذلك فبأمور كثيرة تتبين من خلال ما يلي – مع ملاحظة أن بعضها داخل ضمن بعض –:

أولاً: الإيمان والعمل الصالح: فذلك من أعظم أسباب الهداية، إلى الصراط المستقيم، وفيه.

ويدخل تحت ذلك جملةٌ كثيرة من الأمور.

قال – تعالى –: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ) [يونس: ٩].

قال السعدي في تفسيرها: "يقول الله – تعالى –: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ): أي جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه، ومقتضاه من الأعمال الصالحة المشتملة على أعمال القلوب، وأعمال الجوارح على وجه الإخلاص والمتابعة (يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ): أي بسبب ما معهم من الإيمان يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية؛ فيعلمهم ما ينفعهم، ويمنّ عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية"(٩٩).

إلى أن قال: "ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصلة إلى جنات النعيم"(١٠٠).

ويدخل في جملة الإيمانِ والعملِ الصالحِ: الاستجابةُ لأمر الله، واتباعُ مراضيه، والعمل بما يقرب منه.

قال الله – عز وجل –: ([وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا) [النساء].

فبيَّن – عز وجل – أن القيام بأمره، سبب للثبات، والهداية إلى الصراط المستقيم(١٠١).

---

(٩٩) تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٦ .

(١٠٠) تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٦ .

(١٠١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص١٦٦ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وقال - جل ثناؤه -: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ) [الليل]: أي من أعطى ما أمر به من العبادات المالية كالزكوات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية، كالصلاة، والصوم، ونحوهما، والعبادات المركبة منهما كالحج والعمرة ونحوهما، وصَدَّق بشهادة التوحيد، وما دلَّت عليه من العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي - فسيسهل الله عليه أمره، وسييسر له كل خير، وترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب الهداية، والتيسير[١٠٢].

وثبت في الصحيحين أن الصحابة -رضي الله عنهم- حين ذكر لهم النبي-صلى الله عليه وسلم- القدر السابق قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟.

قال: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له؛ أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم تلا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- هذه الآية: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ) [الليل]" [١٠٣].

قال السعدي معلقاً على هذا الحديث: "فبيَّن-صلى الله عليه وسلم- أن السعادة والشقاوة - وإن كانت مقدرة مفروغاً منها - فإن الله قدرها بأسبابها، وهو أن الله ييسر أهل السعادة لليسرى بما فعلوه من هذه الأسباب الثلاثة، وهي قوله: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ).

وأنه ييسر أهل الشقاوة للعسرى بما قدَّره من الأسباب الثلاثة، وهي قوله: (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ)" [١٠٤].

هذا وإن الآيات في هذا السياق كثيرة، كما قوله - تعالى -: (يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [المائدة: ١٦].

ثانياً: الدعاء: فهو من أعظم الأسباب لحصول الهدية، والثبات عليها.

---

(١٠٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٨٨٦ .

(١٠٣) انظر: صحيح البخاري (١٣٦٢ و٤٩٤٦ و٧٥٥٢) ومسلم (٢٦٤٧) .

(١٠٤) الدرة البهية ص٣٥ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وسؤالُ الله الهداية أعظم المطالب، وأرجح المكاسب؛ فكما أن الله - عز وجل - هو واهب الرزق، والعافية، والعلم ونحوها - فهو كذلك واهب الهداية.

وكما أن هذه الأشياء ونحوها تطلب من الله - فكذلك الهداية.

جاء في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كان يقول إذا قام يصلي من الليل: "اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"(١٠٥).

وقال - تعالى - فيما روى عنه رسوله-صلى الله عليه وسلم-: "يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم"(١٠٦).

فقوله: "من هديته": أي من وفقته، وألهمته رشده.

وقوله: "فاستهدوني": أي اسألوني الهداية، واطلبوها مني وحدي دون من سواي.

قال الله - تعالى -: (إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ) [القصص: ٥٦].

ولهذا أمرنا الله - عز وجل - أن نقول في كل ركعة: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) [الفاتحة: ٦]؛ لشدة حاجتنا إلى الهداية.

وقوله - عز وجل -: "أهدِكم": أي إذا سألتموني الهداية هديتكم إياها(١٠٧).

ثالثاً: المجاهدة: فهي سبيل إلى تحصيل الهداية؛ فالذي يجاهد نفسه في مراضي الله - عز وجل - حريٌّ بأن يُيسَّر للهدى، ويُجنَّب الضلالة.

قال الله - تعالى -: (وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ) [العنكبوت: ٦٩].

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيرها: "وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته (لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ): أي الطرق الموصلة إلينا؛ لأنهم محسنون.

---

(١٠٥) أخرجه مسلم (٧٧) .

(١٠٦) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) .

(١٠٧) انظر: صحيح مسلم ١٣٤/١٦، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ٣٩-٤٠ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وإن الله لمع المحسنين بالعون، والنصر، والهداية"(١٠٨).

ثم ختم ذلك بقوله: "دلَّ هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله، ويسر له أسباب الهداية"(١٠٩).

فهذه الأمور - وهي الإيمان، والعمل الصالح، والدعاء، والمجاهدة - هي أصول الأسباب الموصلة للهداية، ويندرج تحتها من الأسباب الفرعية ما لا يحصى.

المطلب الرابع: أسباب الإضلال مفصلة

شأنُ الإضلالِ شأن الهداية من جهة أنهما بيد الله - تبارك وتعالى - وأن لكل واحدٍ منهما أسباباً.

وقد مر الكلام على أسباب الهداية، والكلام ههنا سيدور حول أسباب الإضلال؛ إذ هناك أسباب لإضلال العبد، وصرفه عن سواء الصراط.

ونصوص الشرع بيّنت أسباب الضلال والإضلال على وجه التفصيل.

وقبل ذلك يحسن الوقوف على تساؤل يثار، ومفاده: هل الإضلال سبب للضلال، أو العكس؟

والجواب أن هذه المسألة قد تطرق لها بعض العلماء، ومن أحسن مَن فَصَّل القول فيها: الراغب الأصفهاني في مفرداته؛ حيث حرر الكلام فيها تحريراً عالياً رغم وجازة كلامه فيها؛ يقول -رحمه الله-: "والإضلال ضربان:

أحدهما: أن يكون سببه الضلال: وذلك على وجهين:

إما بأن يضل عنك الشيء، كقولك: أضللت البعير، أي ضل عني، وإما أن تحكم بضلاله.

والضلال في هذين سبب الإضلال"(١١٠).

ثم بيّن الضرب الثاني، فقال: "والضرب الثاني: أن يكون الإضلال سبباً للضلال، وهو أن يُزَيَّن للإنسان الباطل؛ ليضِلَّ، كقوله: (لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ) [النساء: ١١٣].

(وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ) [آل عمران: ٦٩].

---

(١٠٨) تيسير الكريم الرحمن ص٦٠٧ .

(١٠٩) تيسير الكريم الرحمن ص٦٠٧ .

(١١٠) المفردات ص٣١٠ .

أي يتحرَّون أفعالاً يقصدون بها أن تضل؛ فلا يحصل من فعلهم ذلك إلا ما فيه ضلال أنفسهم.

وقال عن الشيطان: (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ) [النساء: ١١٩].

وقال في الشيطان: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) [يس: ٦٢] (١١١).

ثم أوضح بعد ذلك سبب إضلال الله للعبد، فقال: "وإضلال الله للإنسان على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون سببه الضلال: وهو أن يضل الإنسان؛ فَيَحْكُم الله عليه بذلك في الدنيا، ويَعْدِلُ به عن طريق الجنة إلى النار في الآخرة"(١١٢).

ثم بين أن ذلك الإضلال "هو حق وعدل؛ فالحكمُ على الضال بضلاله، والعدولُ به عن طريق الجنة إلى النار حقٌّ وعدل"(١١٣).

ثم شرع في بيان الوجه الثاني، فقال: "والثاني من إضلال الله: هو أن الله -تعالى- وضع في جِبِلَّة الإنسان على هيئةٍ إذا راعى طريقاً محموداً كان أو مذموماً أَلِفَه، واستطابه، وتعذر صرفه، وانصرافه عنه، ويصير ذلك كالطبع الذي يأبى على الناقل(١١٤)، ولذلك قيل: العادة طبعٌ ثانٍ"(١١٥).

إلى أن قال: "وإذا كان كذلك -وقد ذكر في هذا الموضع أن كل شيء يكون سبباً في وقوع فِعل- صَحَّ نسبة ذلك الفعل إليه؛ فصحَّ أن ينسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه؛ فيقال: أضله الله"(١١٦).

---

(١١١) المفردات ص٣١٠ .

(١١٢) المفردات ص٣١٠ .

(١١٣) المفردات ص٣١٠ .

(١١٤) هذا تضمين لقول المتنبي:

يراد من القلب نسيانكم ... وبأبى الطباع على الناقل

من قصيدته التي يقول مطلعها:

إلام طماعية العاذل ... ولا رأي في الحب للعاقل

انظر: ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري ٣/٢١-٢٢ .

(١١٥) المفردات ص٣١٠ .

(١١٦) المفردات ص٣١٠ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

ثم أورد جملة من الآيات في ذلك السياق كقوله - تعالى -: (فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ) [محمد: ٨]، وقوله: (وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ) [البقرة: ٢٦]، (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ) [غافر: ٧٤]، (وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ) [إبراهيم: ٢٧].

فهذا التقسيم الذي ذكره الراغب تقسيم حسن صحيح، ويدخل تحته جملة كثيرة من الأسباب الموجبة للإضلال.

وقد جاءت النصوص في تفصيلها، وبيانها بجلاء؛ إذ رَبَطت إضلال الله للعبد بتلك الأسباب.

وفيما يلي بيان لتلك الأسباب بشيء من البسط، مع ملاحظة أن بعضها داخل في بعض:

أولاً: الكفر: وذلك شامل للكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وذلك أعظم الأسباب، وهو رأسها، وأساسها.

قال الله - عز وجل -: (ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ) [محمد: ١].

وقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا) [النساء: ١٦٧] (١١٧).

وقال: (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ) [غافر: ٧٤].

هذا ويدخل تحت هذا السبب - وهو الكفر - جملة من الأوصاف التي هي من جملة أفرادِ شُعَبه.

وهذه الأوصاف الداخلة تحت الكفر من جملة الأسباب الموجبة للإضلال.

وأعظمها: اتباع الهوى، واستحباب العمى على الهدى، والإسراف، والكبر، والجبروت، والزيغ، والارتياب، والتكذيب بالحق(١١٨).

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذه الأسباب عند تفصيل الكلام على بقية الأسباب.

ثانياً: الإعراض عن الله - عز وجل -: فذلك من أعظم أسباب الوقوع في الضلال.

قال ابن القيم-رحمه الله-: "وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه - سبحانه - جازاه بأن يعرض عنه؛ فلا يُمَكِّنُه من الإقبال عليه"(١١٩).

---

(١١٧) المفردات ص٣٠٩، وتيسير الكريم الرحمن ص١٨٨ .

(١١٨) انظر: شفاء العليل ص١٧١، و١٨١-٢٣٠، و ٣٨٠-٣٨٥، والدرة البهية ص٣٦؛ ففي ذلك تفصيل بالأدلة.

(١١٩) شفاء العليل ص٢٠٧ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

ثم ضـــرب مثلاً بما وقع لإبليس لما أعرض عن الله - عز وجل -، فقال: "ولتكن قصـــة إبليس منك على ذُكْر تنتفعْ بها أتمّ انتفاع؛ فإنه لما عصـــى ربه -تعالى- ولم يَنْقَدْ لأمره، وأصـــر على ذلك - عاقبه بأن جعله داعياً إلى كل معصـــية؛ فعاقبه على معصيته الأولى بأن جعله داعياً إلى كل معصية وفروعها: صغيرها، وكبيرها"(١٢٠).

إلى أن قال مبيناً مزيد بســـط لما يترتب على الإعراض: "وصـــار هذا الإعراض، والكفر منه عقوبة لذلك الإعراض، والكفر السابق"(١٢١).

قال ابن تيمية-رحمه الله-: "فكل من اتبع الظن، وما تهوى الأنفس، وترك اتباع الهدى ودين الحق الذي بيَّنه الله -تعالى- وأمر به في كتبه، وعلى ألسن رسله، وفطر عليه عباده، وضرب له الأمثال المشهودة والمسموعة - فهو متبع لإبليس في هذا له نصيب من قوله: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأعراف: ١٨]"(١٢٢).

وقال -أيضاً-: (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ) والسُّعُر: من أعظم الشقاء، وهذا باب واسع.

وإنما المقصـــود هنا التنبيه على هذا الأصـــل، وهو أن من أعرض عن هدى الله علماً وعملاً فإنه لا يحصـــل له مطلوب، ولا ينجو من مرهوب، بل يلحقه من المرهوب أعظم مما فر منه، ويفوته من المطلوب أعظم مما رغب فيه.

وأما المتبعون لهداه فإنهم على هدى من ربهم، وهم المفلحون الذين أدركوا المطلوب ونجوا من المرهوب"(١٢٣).

ثالثاً: إغواء الشياطين؛ واتِّباع خطواتهم: إذ الشياطين من أشد ما يصرف الإنسان عن فطرته التي فطره الله عليها.

جاء في حديث عياض بن حمار-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "يقول الله -تعالى-: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم"(١٢٤).

---

(١٢٠) المرجع السابق ص٢٠٧ .

(١٢١) المرجع السابق ص٢٠٧ .

(١٢٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ١٤٩/١ .

(١٢٣) المرجع السابق ١٤٩/١-١٥٠.

(١٢٤) رواه مسلم (١٢٥٨) .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

قال الله - عز وجل - مبيناً عداوة الشيطان لابن آدم، وحرصه على إغوائه وصرفه عن الهداية، وجرّه إلى الضلالة: (قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ) [الأعراف].

وبين - تبارك وتعالى - أن الشيطان يضل من اتبعه وتولاه، قال -عز وجل-: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ) [الحج].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: "(كُتِبَ عَلَيْهِ): أي قُدِّر على هذا الشيطان المريد، (أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ): أي اتبعه (فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ): عن الحق، ويجنبه الصراط المستقيم"(١٢٥).

وأخبر - جل ثناؤه - عن الشيطان أنه قال: (وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ): أي عن الصراط المستقيم ضلالاً في العلم، وضلالاً في العمل"(١٢٦).

رابعاً: إضلال الطغاة لأتباعهم: فذلك من أعظم أسباب الضلال، والانحراف عن سوءا الصراط، كما أخبر الله عن فرعون لما دعاه موسى -عليه السلام- إلى الهدى، قال - عز وجل -: (وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ) [غافر: ٢٦].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: "وهذا من أعجب ما يكون أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق؛ هذا من التمويه والترويج الذي لا يدخل إلا عقلَ مَنْ قال الله فيهم: (فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ) [الزخرف: ٥٤]" (١٢٧).

وقال - عز وجل - عن فرعون: (قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ) [غافر: ٢٩]".

---

(١٢٥) تيسير الكريم الرحمن ص٥٠٦ .

(١٢٦) تيسير الكريم الرحمن ص١٨٢.

(١٢٧) تيسير الكريم الرحمن ص٧٠٢ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ – ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

قال السعدي في تفسير هذه الآية: "وصدق[١٢٨] في قوله: (مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ).

ولكن ما الذي رأى؟ رأى أن يستخف قومه، فيتابعوه؛ ليقيم بهم رئاسته، ولم يرَ الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقناً"[١٢٩].

إلى أن قال: "وكذب[١٣٠] في قوله: (وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ) فإن هذا قلبٌ للحق؛ فلو أمرهم باتباعه اتباعاً مجرداً – على كفره وضلاله – لكان الشر أهون.

ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعِه اتباعَ الحق، وفي اتباع الحق[١٣١] اتباع الضلال"[١٣٢].

خامساً: التقليد الأعمى، وطاعة الأتباع للسادة والكبراء: فكما يحصل الضلال، والطغيان بإضلال السادة، والكبراء للأتباع – فكذلك يحصل بطاعة الأتباع للسادة والكبراء، وتقليدهم لهم التقليدَ الأعمى دونما بيّنة، أو أثارة من علم.

كما أخبر الله – عز وجل – عن الضُّـــلال من غابري الأمم أنهم قالوا: (إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ) [الزخرف: ٢٢].

وكما أخبر عن هؤلاء الأتباع أنهم يقولون يوم القيامة: (وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَـــادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَـــلُّونَا ٱلسَّـــبِيلَا۠) [الأحزاب: ٦٧].

وكذلك الحال بالنسبة لمن قلد الأصحاب، وسايرهم بالباطل، كما أخبر الله –عز وجل– عنهم بقوله: (وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُـــولِ سَـــبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَـــلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ) [الفرقان] [١٣٣].

فهذه هي أهم أسباب الإضلال، وما عداها يندرج تحتها.

وبهذا ينتهي هذا المبحث الذي دار حول انفراد الله بالهداية والإضلال، وأسبابهما.

---

(١٢٨) يعني فرعون .

(١٢٩) تيسير الكريم الرحمن ص٣٠٧ .

(١٣٠) يعني فرعون .

(١٣١) يعني الحق الذي مع موسى – عليه السلام – .

(١٣٢) تيسير الكريم الرحمن ص٧٠٣ .

(١٣٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٤١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

المبحث الثالث: تعلق مسألة الهداية والإضلال بِسِرّ القدرِ، والحكمة، والتعليل

مدخل: مفهومُ القدر، وتعلقُ مسألةِ الهداية والإضلال به عموماً

أولاً: مفهوم القدر

القدر - في الأصل - يأتي بمعنى القضاء؛ فكل واحدٍ منهما يأتي بمعنى الآخر؛ فمعاني القضاء تؤول إلى إحكام الشيء، وإتقانه، ونحو ذلك من معاني القضاء(١٣٤).

ومعاني القدر تعود إلى التقدير، والحكم، والخلق، والحتم، ونحو ذلك(١٣٥).

أما في اصطلاح الشرع فإن القدر: هو تقدير الله للأشياء، وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومات، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته، ووقوعها على حسب ما قدَّرها، وخلقه لها.

أو هو: علم الله بالأشياء، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لها(١٣٦)؛ هذا هو تعريف القدر.

والواجب على العبد في هذا الباب أن يُؤمن بقضاء الله، وقدره، وأن يُؤمن بشرع الله، وأمره، ونهيه، فعليه تصديق الخبر، وطاعة الأمر(١٣٧).

فإذا أحسن حَمِدَ الله، وإذا أساء استغفر الله، وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره(١٣٨).

وبالجملة فعليه أن يؤمنَ بمراتب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، وأنه لا يقع شيء إلا وقد علمه الله، وكتبه، وشاءه، وخلقه، ويؤمنَ - أيضاً - بأن الله أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعلَ الطاعة، ويتركَ المعصية، فإذا وفقه الله لفعل

---

(١٣٤) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة ص٤٤١-٤٤٢ والمفردات ص٤٢٣، وياقوتة الصراط للبغدادي ص٢٥٣، و٣٠٦، و٥٧٦، والمفردات في غريب القرآن ص٤٢٣-٤٢٤، ومعجم مقاييس اللغة ٩٩/٥، والقاموس المحيط للفيروز بادي ص١٧٠٨.

(١٣٥) انظر: معجم مقاييس اللغة ٦٢/٥، ولسان العرب ٧٢/٥، والفروق في اللغة ص٣٢٨، ومعجم ألفاظ القرآن ص٤٩٥-٤٩٦ .

(١٣٦) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢٤٨/١، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالرحمن المحمود ص٢٩، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود ١٣١/٣.

(١٣٧) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية ٣٤١/٢، وانظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٤٠٥/٨.

(١٣٨) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧٠/٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

الطاعة وترك المعصية فليحمد الله، وليستمر على ذلك، وإن خُذِل ووُكل إلى نفسه فَفَعَل المعصية، وترك الطاعة فعليه أن يستغفر ويتوب.

ثم إن على العبد - أيضاً - أن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلكَ الطرقَ الصحيحةَ الموصلةَ إليها، فَيَضْرِبَ في الأرض، ويمشي في مناكبها، فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله، وعلم أن ذلك كله واقع بقدر الله - عز وجل - وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه(١٣٩).

"وإذا علم العبد من حيث الجملة أن لله فيما خلق، وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا، ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه"(١٤٠).

ولا يلزم كل أحد أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقدر، بل يكفي هذا الإيمان المجمل، فأهل السنة والجماعة - كما هو مقرر عندهم - لا يوجبون على العاجز ما يجب على القادر؛ هذا هو مفهوم القدر بإجمال.

ثانياً: تعلق مسألة الهداية والإضلال بالقدر عموماً

مسألةُ الهداية والإضلال مرتبطةٌ بعموم القدر شأنُها في ذلك شأنُ سائر ما يقضيه الله - تعالى - ويقدِّره.

وبناءً على ذلك فجميع ما دلَّ على القضاء والقدر دالٌّ على أن الهداية والإضلال من جملة ذلك؛ فإذا كان الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة تدل على القضاء والقدر - فإنها في الوقت نفسه تدل على الهداية والإضلال(١٤١).

ولهذه المسألة - أيضاً - تعلق بأقسام التقدير: التقدير العام، وهو ما في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهو تقدير الرب لجميع الكائنات بمعنى علمه بها، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لها؛ فالهداية والإضلال ضمن ذلك العموم.

---

(١٣٩) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح آل مهدي ١٤٠/٢، وانظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي ص٢١٨ و ٢٢٨-٢٢٩، وانظر: تقريب التدمرية، للشيخ محمد ابن عثيمين ص١١٩.

(١٤٠) مجموع الفتاوى ٩٧/٨.

(١٤١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري١٥/١٢، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة١٤٧/١-١٥٠، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص٢١-٢٣، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص٢٨٠، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي٥٢٤/٣، والدرة فيما يجب اعتقاده، لابن حزم ص٢٩٩-٣٠٠، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٨٥/١-٨٦، وفتح الباري لابن حجر، ٢٨٧/١١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

والتقدير العمري، وهو: ما يكتب على العبد منذ نفخ الروح فيه في بطن أمه إلى نهاية أجله من كتابة رزقه، وعمله، وأجله، وشقاوته، أو سعادته.

والتقدير السنوي، وذلك في ليلة القدر من كل سنة؛ إذ الهداية والإضلال من جملة ذلك التقدير.

والتقدير اليومي الذي يدل عليه قوله - تعالى -: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن: ٢٩]. أي: شأنه أن يعز ويذل، ويهدي ويضل، ونحو ذلك(١٤٢).

وهكذا يتبين وجه تعلق مسألة الهداية والإضلال بالقدر عموماً.

أما أخص ما تتعلق به هذه المسألة في باب القدر فسيتضح من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: تعلقها بسرِّ القدر الإلهي

والمقصود بسر القدر الإلهي: الجانب الخفي من القدر الذي هو سرُّ الله في خلقه، وشرعه، مما استأثر الله بعلمه، ولم يُطْلِعْ عليه ملَكٌ مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسَل.

وارتباط مسألة الهداية والإضلال بهذا السر وثيقٌ جداً، بل هي ألصق مسائل القدرِ بِهِ؛ ذلك أن أكثر الشُّبَه والإشكالات في باب القدر إنما نشأت عن الجهل في فهم ما يجب حيال سرِّ القدر خصوصاً ما كان في مسألة الهداية والإضلال؛ ذلك أن من أسماء الله - عز وجل -: القدير، والقادر، والمقتدر.

ومن صفاته - تبارك وتعالى -: القدرة.

قال ابن القيم-رحمه الله-: "وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله -تعالى-: (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ) قال: الذين يقولون إن الله على كل شيء قدير"(١٤٣).

ثم علق ابن القيم على هذا التفسير قائلاً: "وهذا من فقه ابن عباس، وعلمه بالتأويل، ومعرفته بحقائق الأسماء والصفات"(١٤٤).

---

(١٤٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي١١/٢٨٧ .

(١٤٣) شفاء العليل ص٦٠ .

(١٤٤) شفاء العليل ص٦٠ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

ثم التفت إلى أهل الكلام، وأبان عن تقصيرهم في فهم هذا التفسير، مما كان له الأثر في ضلالهم في باب القدر، فقال: "فإن أكثر أهل الكلام لا يوفون هذه الجملة حقها - ولو كانوا يقرُّون بها - فمنكرو القدرِ(١٤٥) وخَلْقِ أفعال العباد لا يقرون بها على وجهها، ومنكرو أفعالِ الرب القائمة به لا يقرون بها على وجهها، بل يصرحون أنه لا يقدر على فعل يقوم به.

ومن لا يقر بأن الله - سبحانه - كل يوم هو في شأن لا يقر بأن الله على كل شيء قدير.

ومن لا يقر بأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأنه - سبحانه - مقلب القلوب حقيقة، وأنه إن شاء أن يقيم القلب أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه - لا يقر بأن الله على كل شيء قدير"(١٤٦).

ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن القدر قال: "القدرُ قدرةُ الله على العباد"(١٤٧).

قال ابن القيم معلقاً على مقولة الإمام أحمد: "واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جداً، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد، وتبحره في معرفة أصول الدين"(١٤٨).

ثم علق ابن القيم على كلام ابن عقيل، فقال: "وهو كما قال أبو الوفاء(١٤٩)؛ فإنكار القدر إنكار قدرة الرب على خلق أفعال العباد، وكتابتها، وتقديرها"(١٥٠).

فالقدرة - إذاً - صفة الله - تعالى - والقدير، والقادر، والمقتدر: أسماؤه.

وجميع هذه الأسماء وردت في القرآن، وأكثرها وروداً "القدير" ثم "القادر" ثم "المقتدر" قال -تعالى-: (وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ) [الروم: ٥٤].

وقال -تعالى-: (قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ

---

(١٤٥) يشير بذلك إلى القدرية المعتزلة. انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٧٨، وشرح الأصول الخمسة ص ٣٥٥-٣٦٢، والمغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبدالجبار ٣٤٠/٢ .

(١٤٦) شفاء العليل ص٦٠ .

(١٤٧) مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية إسحاق بن إبراهيم بن هاني ١٥٥/٢، وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١٣٥/١ .

(١٤٨) شفاء العليل ص ٥٩-٦٠ .

(١٤٩) يعني به ابن عقيل؛ فهو يكنى بأبي الوفاء .

(١٥٠) شفاء العليل ص٦٠ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ) [الأنعام: ٦٥].

وقال -تعالى-: (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) [الكهف: ٤٥].

وجميعها تدل على ثبوت القدرة صفة لله، وأنه -سبحانه- كامل القدرة؛ فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دَبَّرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن، فيكون.

وبقدرته يقلب القلوب ويصرِّفها على ما يشاء ويريد، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمناً، والكافر كافراً، والبرَّ بَرّاً، والفاجر فاجراً.

ولكمال قدرته لا يحيط أحدٌ بشيء من علمه إلا بما شاء أن يُعلِّمه إياه، ولكمال قدرته خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، لا يعجزه أحدٌ من خلقه ولا يفوته، بل هو في قبضته أين كان، الذي سَلِمَتْ قدرتُه من اللُّغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد.

ولكمال قدرته كان كلُّ شيء طَوْعَ أمره وتحت تدبيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن(١٥١).

وهكذا يتبين أن مسألة القدر متعلقة بقدرة الله، وأن قدرة الله صفة من صفاته، وأن من أسمائه القدير، والقادر، والمقتدر.

وبناءً على ذلك يقرر في صفة القدر ما يقرر في بقية صفات الله - جل ثناؤه - إذ من القواعد المقررة في باب الصفات أنها معلومة لنا باعتبار المعنى، مجهولة باعتبار الكيفية، كاستواء الله على عرشه؛ فإن معناه معلوم؛ إذ هو بمعنى العلو، والاستقرار، والارتفاع، والصعود.

أما كيفيته فمجهولة لنا؛ لأن الله أخبرنا أنه استوى، ولم يخبرنا عن كيفية استوائه(١٥٢).

---

(١٥١) انظر: فقه الأسماء الحسنى، د. عبدالرزاق البدر ص٢١٧ .

(١٥٢) انظر: التدمرية، ص٤٤-٤٥، والفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية ص٢٩١، وانظر: تفصيل ذلك في درء تعارض العقل والنقل ٦/١٩١-٢٦٧ و٢/٢٠-٢١ و٦/١١٥-١١٩، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/٣١٠-٣١٤، والتسعينية ص ١٢٢ و ١٢٧-١٣١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

ولهذا لما سئل الإمام مالك-رحمه الله- عن قوله -تعالى-: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(١٥٣).

فمعنى قوله: "غير مجهول" أو "معلوم": أنه ظاهر بيّن معلوم في لغة العرب -كما مر- وكونه أضيف إلى الله - تعالى - فإنه يعني استواءً خاصاً؛ يعني علوه -تعالى-، واستقراره عليه علواً، واستقراراً يليق بعظمته، وجلاله، وأنه من صفاته الفعلية التي دلَّ عليها الكتاب، والسنة، والإجماع(١٥٤).

ومعنى قوله: "والكيف غير معقول"، أو قوله: "والكيف مجهول": نفي علم الكيفية، دون نفي حقيقة الصفة(١٥٥).

ومعنى قوله: "والإيمان به واجب": أي لأنه من صفات الباري الثابتة له -سبحانه- فالإيمان بها واجب، والجحود بها كفر(١٥٦).

ومعنى قوله: "والسؤال عنه بدعة": أي السؤال عن الكيف، أي عن كيفية صفات الباري؛ فهو بدعة مُحْدَثة؛ لأنه سؤال عما لا سبيل إلى علمه، ولا يجوز الكلام فيه، ولم يسبق ذلك في زمن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ولا من بعده من أصحابه.

كما أنه خوضٌ في أمرٍ محالٍ على العقول أن تدركه(١٥٧).

فهذا الأثر العظيم عن الإمام مالك، وشيخه ربيعة - رحمهما الله - يصلح لأن يكون قاعدة تُجرى على جميع الصفات؛ لأن من القواعد المقررة في باب الصفات أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر(١٥٨).

ومنها ما الحديث بصدده، وهو مسألة الهداية والإضلال، وتعلقها بالقدر، وأن القدر قدرة الله -كما مر-.

---

(١٥٣) ويروى عنه وعن ربيعة - رحمهما الله - بألفاظ أخرى، متقاربة، مثل قولهم: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/٢٧٨-٢٧٩، وتفصيل الكلام على هذا الأثر ورواياته في بحث: الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء، دراسة تحليلية د. عبدالرزاق البدر.

(١٥٤) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص ٢٠١-٢٩١، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين ص ٣٦-٣٧ .

(١٥٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/٣٠٩، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/٣٥ .

(١٥٦) انظر: ذمُّ التأويل لابن قدامة ص ٣١-٣٦ .

(١٥٧) انظر: ذمُّ التأويل ص٢٦، والأثر المشهور عن الإمام مالك ص ٣٧-٤١ .

(١٥٨) انظر: التدمرية ص ٣١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وبناءً على ذلك يقال: قدرة الله كعلمه، وحكمته، وإراداته، واستوائه على عرشه، وسائر صفاته؛ من جهة كونها معلومة المعنى مجهولة الكيفية؛ فكما أننا نعجز عن الإحاطة بصفات الله فكذلك نعجز عن الإحاطة بقدرته، وأسرار قدره.

ومن أسرار قَدَرِه -عز وجل- أن أضل، وهدى، وأسعد، وأشقى، وأمات، وأحيا؛ لحكمة يعلمها ولا نعلمها، وهو العليم الحكيم.

ولا يضير المرء في إيمانه عجزُه عن معنى الإحاطة بسر القدر؛ لأن ذلك ليس بمستطاع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولكن الذي يضيره أن يبنيَ على عجزه أحكاماً، ويتصَّرفَ على غير هدى، وَيرُدَّ بعضَ الأصول القطعية، وَيضْرِبَ النصوص بعضها ببعض(١٥٩).

ومما لا نزاع فيه بين العقلاء أن للمالك أن يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا يلزم ليكون تصرفه سليماً أن يُدرك غيرُه الحكمة في تصرفاته، وليس لأحد حق الاعتراض عليه في تصرفه إذا لم يعلم السر في أفعاله.

ولا نزاع بينهم أن البارع في علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو صنعة من الصنائع أنه قد يعمل أعمالاً لا تدركها عقول الذين لم يقفوا على أسرار ذلك العلم، أو الفن، أو الصنعة.

ولا يعني عدمُ إدراكهم لذلك - أن يقدحوا في ذلك العلم، أو الفن، أو الصنعة.

هذا بالنسبة للبشر القاصرين في علمهم وحكمتهم، فكيف بأحكم الحاكمين، وبمن وسع كل شيء رحمة وعلماً؟!

فإن حاولنا كَشْفَ ما طُوي عنا من أسرار القدر مما استأثر الله بعلمه كان ذلك تكلفاً بلا نتيجة، ومن حاول إدراك غير المستطاع فنتيجة محاولته أن يكون:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنَه الوعلُ(١٦٠)

وما من ريب أن الإمساك عن الخوض في أسرار القدر هو المسلك الراشد الأَمَمُ الذي يوقف الإنسان عند حدِّه الذي وضعه له خالقه؛ فلا يتعداه إلى ما لا طاقة له به، ولا طائل له من ورائه؛ فلله - عز وجل - الحجة البالغة، وله الحكمة البالغة؛ لا

(١٥٩) انظر: العقل والنقل عند ابن رشد، د. محمد أمان الجامي ص٥٦.

(١٦٠) ديوان الأعشى الكبير ص٦١ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

يســـأل عما يفعل، وهم يســـألون، وما كان - عز وجل - ليطلع عباده على الغيب، ولكن ليبلوهم؛ فهو أعلم حيث يجعل هدايته، كما هو أعلم حيث يجعل رسالته(١٦١).

وهذا هو مُجْمَلُ الآثار الواردة في النهي عن الخوض في القدر؛ إذ عليها يحمل، ولها يتوجه.

وأهم ما ورد في هذا الشأن ما جاء في حديث في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا" (١٦٢).

وكذلك ما ورد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- غضب غضباً شديداً، عندما خرج على أصحابه يوماً وهم يتنازعون في القدر، حتى احمرَّ وجهه، حتى كأنما فُقيء في وجنتيه حبُّ الرمان، فقال: "أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرســـلت إليكم؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر؛ عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه"(١٦٣).

---

(١٦١) انظر: العقل والنقل عند ابن رشد، ص٥٦-٥٧.

(١٦٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤٣/١٠ (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ١٠٨/٤، وقال أبو نعيم: "غريب من حديث الأعمش تفرد به عنه مسهر".

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٢/٧: "وفيه مسهر بن عبدالملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح".

وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٤١/١: "إسناده حسن".

وحسنه ابن حجر في الفتح ٤٨٦/١١، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير فيض القدير ٣٤٨/١، وقال الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٤٥): "صحيح"، وانظر: السلسلة الصحيحة ٤٢/١ (٣٤).

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي٣٣٦/٦: "إسناده حسن".

وهذا الحديث جاء من حديث ثوبان -رضـــي الله عنه- بلفظه عند الطبراني في الكبير ٩٦/٢ (١٤٢٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٢/٧: "وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف".

(١٦٣) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة من كتاب القدر باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر (٢١٣٣) وقال: "وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها".

وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٣٢- ٢٢٣١): "حسن".

وله شـــاهد من حديث عمر بن الخطاب -رضـــي الله عنه- بلفظ: "لا تجالســـوا أهل القدر ولا تفاتحوهم" أخرجه أحمد ٣٠/١، وأبو داود (٤٧١٠) و(٤٧٢٠)، والحاكم ٨٥/١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

والنهي الوارد في هذين الحديثين ليس نهياً عن الكلام على القدر عموماً، وإنما هو مُنْصَبٌّ على أمور أهمها: ترك التسليم والإذعان لله في قدره، والبحث عن الجانب الخفي في القدر الذي هو سر الله في خلقه، والذي لم يطّلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وإيراد الأسئلة الاعتراضية، كمن يقول متعنتاً: لماذا هدى الله فلاناً وأضل فلاناً؟(١٦٤).

ومما يؤيد ذلك - من أن النهي ليس على إطلاقه - أنه ورد في الحديثِ السابقِ، حديثِ ابن مسعود، مع الأمر بالإمساك عن القدر - الإمساكُ عن الصحابة.

والإمساكُ عن الصحابة إنما المقصود به الإمساك عما شجر بينهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وتنقصهم، وثلبهم.

أما ذكر محاسنهم، والثناء عليهم فهذا أمر محمود بلا أي خلاف؛ فقد أثنى الله عليهم في القرآن الكريم، وزكاهم، وكذلك الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

ومما يؤيد ذلك - أيضاً - أن سبب غضب النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الحديث السابق - حديث الترمذي - إنما هو بسبب تنازع الصحابة في القدر، وهذا يعني أن الكلام في القدر، أو البحث فيه بالمنهج العلمي الصحيح غير محرم أو منهي عنه، وإنما الذي نهى عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو التنازع في القدر، أو الخوض فيه بلا علم، أو البحث عن الجانب الخفي فيه(١٦٥).

وهكذا يتبين من خلال هذا المطلب تعلق مسألة الهداية والإضلال بسر القدر الإلهي.

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في المطلب التالي.

المطلب الثاني: تعلقها بمسألة الحكمة والتعليل

مسألة تعليل أفعال الله، والحكمة فيها من أجلِّ مسائل التوحيد المتعلقة بالخلق والأمر، والشرع والقدر .

والحديث في هذا المقام لا يسمح بالتفصيل.

وقد اختلف الناس فيها على أقوال شتى، ولكنَّها ترجع إلى قولين.

---

(١٦٤) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري١/٤٢١-٤٢٢، وانظر: الدين الخالص تأليف السيد محمد صديق حسن٣/١٧١، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٦٢، وانظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص٣٥، وشرح السنة للبربهاري ص٣٦.

(١٦٥) القضاء والقدر في الإسلام ١/٣٦٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

أحدهما: قول نفاة الحكمة، وهو قول الأشاعرة ومن وافقهم ممن يرى أن الله – عز وجل – قدر المقادير، وشرع الشرائع لغير علة، أو حكمة، بل فعل ذلك لمحض المشيئة، وصرف الإرادة.

الثاني: قول الجمهور الذين يثبتون الحكمة، وأنَّ لله في كل ما يقضيه حكمةً ورحمة.

وهذه الحكمة تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إليه – تعالى – يحبها ويرضاها.

والثاني: حكمة تعود إلى عباده، فهي نعمة عليهم يفرحون، ويلتذون بها.

وهذا يكون في المأمورات، والمخلوقات(١٦٦).

يقول ابن القيم –رحمه الله– مقرراً حكمة الله – تبارك وتعالى – فيما يقدره ويشرعه: "ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالُنا من حكمة الله في خلقه لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهاننا، ونقص عقولنا ومعارفنا، وتلاشيها، وتلاشي علوم الخلائق جميعهم كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس، وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك"(١٦٧).

وقال –رحمه الله–: "وكيف يتوهم ذو فطرة صحيحة خلاف ذلك، وهذا الوجود شاهد بحكمته، وعنايته بخلقه أتم عناية، وما في مخلوقاته من الحكمة، والمصالح، والمنافع، والغايات المطلوبة، والعواقب الحميدة – أعظم من أن يُحيطَ به وصفٌ، أو يحصرَه عقل؟!"(١٦٨).

وقال –رحمه الله–: "وجماع ذلك أن كمال الرب – تعالى – وجلاله، وحكمته، وعدله، ورحمته، وإحسانه، وحمده، ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى – تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة، ولا لغاية مطلوبة.

وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد ببطلانه"(١٦٩).

---

(١٦٦) انظر: أصول الدين للبغدادي ص١٥٠-١٥١، مجموع الفتاوى ٨/٣٥-٣٦، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ١/١٩٧-٢٠٣، وشرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٦١-٢٦٣، والقضاء والقدر د. عبدالرحمن المحمود٢٤٢-٢٤٨، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن المحمود ٣/١٣١٠-١٣١٢.

(١٦٧) شفاء العليل ص٤١٩.

(١٦٨) شفاء العليل ص٤١٨.

(١٦٩) شفاء العليل ص٤١٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

ولهذه المسألة ارتباط وثيق بمسألة الهداية والإضلال؛ إذ التسليم لله بتقديره الهدايةَ والإضلال من أجلِّ صفات المؤمنين، والاعتراض على ذلك، وكثرة الأسئلة والإشكالات فيه من صفات الضُّلال الخائضين في حكمة الرب فيما يقضيه، ويقدره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في القصيدة التائية في القدر:

وأصـــلُ ضـــلالِ الخلقِ من كـل فرقـةٍ هـو الخـوض في فـعـل الإلـه بـعِلَّـةِ
فـإنهـمـوا لم يـفـهـمـوا حـكـمـةً لـه فصـــاروا على نوع من الجاهليةِ(١٧٠)

إلى أن قال:

وإبـداعُـه مـا شـــاء من مُبـدَعـاتـه بهـا حِـكْـمَـةٌ فـيـه وأنـواعُ رحمـةِ
ولســـنـا وإن قـلـنـا جَـرَتْ بمشـيـئـة من المنكري آياتِـه المســتـقـيـمـةِ
بـل الحـقُّ أن الحـكـمَ لله وحـده له الخلقُ والأمرُ الذي في الشـريعةِ(١٧١)

وقال:

ومـالـكُـنـا في كـلِّ مـا قـد أراده لـه الحمـدُ حمـداً يعتلي كـلَّ مِـدْحـةِ
فـإن لـه في الخـلـق من نِـعَـمٍ ســرت ومن حكم فوق العقول الحكيمـةِ
أمـوراً يحـار الـعـقـل فـيـهـا إذا رأى من الحكم العليـا وكـل عـجيبـةِ
فـنـؤمـنُ أن الله عـزَّ بـقـدرةٍ وخـلـقٍ وإبـرامٍ لحـكـم المشـيـئـةِ
فـنـثـبـت هـذا كـلَّـه لإلهـنـا ونثبت مـا في ذاك من كـل حكمـةِ
وهـذا مـقـام طـالمـا عـجـز الأُلى نـفـوه وكـروا راجـعـين بحـيرةِ(١٧٢)

قال ابن القيم -رحمه الله- في معرض حديث له عن مناقشة مثبتي الحكمة ونفاتها، قال: "وأصل ضلال الخلق هو طلب تعليل أفعال الرب، كما قال شيخ الإسلام في تائيته:

---

(١٧٠) القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق وشرح ص٢١٠ .
(١٧١) المرجع السابق ص٢١٠ .
(١٧٢) المرجع السابق ص٢١١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وأصـــلُ ضـــلالِ الخلقِ من كل فرقةٍ هـو الخـوض في فعـل الإلـه بِعِلَّـةِ

فإنهم لما طلبوا علة أفعاله فأعجزهم العلم بها افترقوا بعد ذلك"(١٧٣).

ثم ذكر أصناف هؤلاء الضالين الخائضين في هذه المسألة.

وقال بعد ذلك: "وقد اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن أقام في هذا العالم لكل حقٍّ جاحداً، ولكل صواب معانداً، كما أقام لكل نعمة حاسداً، ولكل شر رائداً.

وهذا من تمام حكمته الباهرة، وقدرته القاهرة؛ ليتمَّ عليهم كلمته، وينفذَ فيهم مشيئته، ويظهرَ فيهم حِكمتُه، ويقضي بينهم بحكمه، ويفاضل بينهم بعلمه، ويظهر فيهم آثار صفاته العليا، وأسمائه الحسنى، ويتبين لأوليائه وأعدائه يوم القيامة أنه لم يخل(١٧٤) لحكمة، ولم يخلق خلقه عبثاً، ولا يتركهم سدى، وأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، وأن له الحمدَ التام الكامل على جميع ما خلقه وقدره وقضاه، وعلى ما أمر به، ونهى عنه، وعلى ثوابه وعقابه، وأنه لم يَضَعْ من ذلك شيئاً إلا في محله الذي لا يليق به سواه"(١٧٥).

ثم شرع -رحمه الله- في الجواب عن الأسئلة التي ساقها نفاة الحكمة والتعليل، وأورد سبعة وثلاثين وجهاً من أوجه الرد عليهم(١٧٦).

هذا وإن مما يتعلق بمسألة الهداية والإضلال، ويؤكد ارتباطها بالحكمة الربانية - مسألةَ الحكمةِ من خلق المعاصي، وتقدير السيئات.

وهذا الباب لطيف دقيق، وقلَّ من تطرق له مع اشتماله على نفائس من العلم تُحَلُّ بها كثيرٌ من الإشكالات في باب الهداية والإضلال؛ إذ هو محتوٍ على حكم عظيمة، وأسرار بديعة باهرة.

قال ابن القيم عن هذا الباب: "وهذا باب عظيم من أبواب المعرفة قلَّ من استفتحه من الناس، وهو شهود الحكمة البالغة من قضاء السيئات وتقدير المعاصي.

وإنما استفتح الناس باب الحكم في الأوامر والنواهي، وخاضوا فيها، وأتوا بما وصلت إليه علومهم.

---

(١٧٣) شفاء العليل ص٢٦٨ .

(١٧٤) هكذا في الأصل، ولعلها: لم يخلق إلا.

(١٧٥) شفاء العليل ص٤٤١-٤٤٢.

(١٧٦) انظر: شفاء العليل ص٤٤٢-٥٣٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

واستفتحوا - أيضاً - بابها في المخلوقات - كما قدمناه - وأتوا بما وصلت إليه قواهم.

وأما هذا الباب فكما رأيت كلامهم فيه، فقلَّ أن ترى لأحدهم ما يشفي، أو يلم.

وكيف يطَّلع على حكمة هذا الباب من عنده أن أعمال العباد ليست مخلوقة لله ولا داخلة تحت مشيئته أصلاً؟ وكيف يتطلب لها حكمة، أو يثبتها، أم كيف يطلع من يقول: هي خلق الله، ولكن أفعاله غير معللة بالحكم؟"(١٧٧).

إلى أن قال: "والمقصود أن مشاهدة حكمة الله في أقضيته وأقداره التي يجريها على عباده باختياراتهم وإراداتهم هي ألطف ما تكلم فيه الناس، وأدقُّه، وأغمضه، وفي ذلك حِكَمٌ لا يعلمها إلا الحكيم العليم -سبحانه- ونحن نشير إلى بعضها"(١٧٨).

ثم شرع -رحمه الله- في ذكر العديد من الحكم في هذا الشأن التي يعز نظيرها في غير هذا الموضع(١٧٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مجيباً على من اعترض على مشيئة الله بكفر الكافرين، ووقوع المعصية من العاصين:

فقولك: "لِمْ قد شاء؟" مثل سؤالِ مَنْ يقول: فَلِمْ قد كان في الأزليةِ

وذاك سؤال يبطل العقلُ وَجْهَهُ وتحريمُه قد جاء في كل شرعةِ(١٨٠)

ففي هذين البيتين يبين الشيخ خطأ هذا المعترض وضلاله بقوله: "لِم قد شاء".

فقول المعترض: كيف شاء الله كفر الكافرين، ووقوع العصيان من العاصين، ونحو ذلك من الأسئلة المشابهة لذلك - كلها محظورة ممنوعة؛ لأن الله -عز وجل- هو الحاكم وليس المحكوم عليه، ولا يلزم أن يبدي لعباده كل حكمة اشتملت عليها مراداته وأفعاله؛ ذلك أنه -عز وجل- قد أخبر عباده بالأمر العام، وهو أنه حكيم في خلقه وشرعه.

وهذا - بحد ذاته - كافٍ شافٍ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وأما دقائق الخلق، وأسرار التقدير على وجه التفصيل فعلمها عنده -عز وجل- ولا يلزم أن يُطْلع عباده إلا على ما شاء من ذلك، كما لا يلزم أن يطلع جميع عباده على ذلك.

---

(١٧٧) مفتاح دار السعادة ٢٨٦/١.

(١٧٨) مفتاح دار السعادة ٢٨٦/١.

(١٧٩) انظر: تفصيل ذلك في مفتاح دار السعادة ٢٨٦/١-٢٩٩ .

(١٨٠) القصيدة التائية في القدر ص٢١٢ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وســـؤال هذا المعترض الذي يقول: "لم شـــاء" مثل ســـؤال من يقول: لماذا قدَّر الله كذا وكذا في الأزل حين كتب مقادير الخلائق؟!

ومثل هذا السؤال يبطله العقل، وتحرمه جميع الشرائع السماوية؛ إذ هو اعتراض من العبد المملوك على الرب العظيم الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون(١٨١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "والله - تعالى - غني عن العباد، إنما أمرهم بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم، فهو محسن إلى عباده بالأمر لهم، محسن لهم بإعانتهم على الطاعة.

ولو قُدِّر أن عالماً صـالحاً أمر الناس بما ينفعهم، ثم أعان بعض الناس على فعل ما أمرهم به، ولم يعن آخرين لكان محسـناً إلى هؤلاء إحساناً تامًّاً، ولم يكن ظالماً لمن لم يحسن إليه.

وإذا قدر أنه عاقب المذنب العقوبة التي يقتضيها عدله وحكمته لكان -أيضاً- محموداً على هذا وهذا.

وأين هذا من حكمة أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين؟! فأمره لهم إرشـــاد، وتعليم، وتعريف بالخير، فإن أعانهم على فعل المأمور كان قد أتم النعمة على المأمور، وهو مشكور على هذا وهذا.

وإن لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى"(١٨٢).

وقال -رحمه الله-: "وليس اطلاع كثير من الناس - بل أكثرهم - على حكم الله في كل شيء نافعاً لهم، بل قد يكون ضارًّاً، قال - تعالى -: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ) [المائدة:١٠١].

وهذه المسألة: مسألة غايات أفعال الله، ونهاية حكمته مسألةٌ عظيمة، لعلها أجل المسائل الإلهية" (١٨٣).

وقال ابن قتيبة -رحمه الله-: "وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل، لا يجور: كيف خلق؟ وكيف قدَّر؟ وكيف أعطى؟ وكيف منع؟ وأنه لا يخرج من قدرته شـيء، ولا يكون في ملكوته من السـماوات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه، ولا حق لأحد قِبَلَه، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل" (١٨٤).

---

(١٨١) انظر: الدرة البهية ص ٣٢-٣٣ .

(١٨٢) منهاج السنة٣/٣٨، وانظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٣٤-٣٦، ورسالة الثغر لأبي الحسن الأشعري ص٨٥.

(١٨٣) منهاج السـنة النبوية ٣/٣٩، وانظر: ١/٤٦ من الكتاب نفسـه، ومجموع الفتاوى ٨/٨١، وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم الجوزية ٢/١٨٧-١٩٥.

(١٨٤) الاختلاف في اللفظ ص٣٥، وانظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ١/٣٩٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

وهكذا يتبين وجه ارتباط مسألة الهداية والإضلال بالحكمة الربانية؛ إذ الهداية والإضلال متعلق بمشيئة الله – عز وجل –، ومشيئته متعلقة بحكمته، وعموم قدره، وليس لمجرد المشيئة المحضة.

فإذا كان الأمر كذلك وجب الوقوف عند ما أمرنا بأن نقف عنده؛ بحيث نسلم لله – عز وجل – فنؤمن بقدره، وشرعه، فنصدق الخبر، ونمتثل الأمر؛ فنكون بذلك من جمع بين الشرع والقدر، وسلم من كل معارضة لله في شرعه وقدره.

وذلك سبيل السعادة، والنجاة في الدنيا والآخرة(١٨٥).

الخاتمة

الحمد لله، وبعد: ففي خاتمة هذا البحث هذه خلاصة لأهم ما تضمنه من نتائج:

١- الهداية في اللغة: تطلق على الدلالة، والإرشاد، والتبيين، والتبصير، والإضلال ضد ذلك.

٢- تنقسم مراتب الهداية الربانية للإنسان إلى أربع مراتب: الهداية العامة، والهداية بمعنى البيان، والدلالة، والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام، والهداية إلى الجنة، أو النار يوم القيامة.

٣- هداية الدلالة والإرشاد ثابتة للرسل، وأتباعهم، ولا تستلزم التوفيق، وقبول الحق.

وهداية التوفيق والإلهام بيد الله وحده، وهي التي يختص بها من يشاء.

٤- أن هداية الصراط المستقيم شاملة للهداية إليه، وهي الهداية المجملة، وللهداية فيه، وهي الهداية المفصلة.

٥- يمكن تعريف الهداية شرعاً بأنها: تقدير اللهِ الاهتداءَ للعبد بدلالته إلى الصراط المستقيم، وتوفيقه، وإلهامه لقبوله، وسلوكه سبيله؛ حكمةً وتفضلاً.

٦- الضلال في الشرع: مقابل الاهتداء، ويعني العدول عن الصراط المستقيم.

٧- الضلال مراتب: أدناها ترك المستحبات، وأعلاها الكفر، وبينهما برازخ.

٨- الضلال أقسام: فمنها ما يكون في العلوم النظرية، ومنها ما يكون في العلوم العملية.

٩- الإضلال شرعاً هو: تقديرُ اللهِ الضلال على العبد بخذلانه، وترك توفيقه، وصرفه عن الاهتداء إلى أصل الصراط

---

(١٨٥) انظر مجموع الفتاوى ٤٤٩/٨-٤٥٠، وجامع الرسائل ٣٤١/٢، ودرء تعارض العقل والنقل ٤٠٥/٨، وطريق الهجرتين وباب السعادتين ص١٧٠ .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

المستقيم، أو بعض تفاصيله؛ حكمةً، وعدلاً.

١٠- لكلٍّ من الهداية والإضلال أسباب مجملة، وأسباب مفصلة؛ فأسباب الهداية على الإجمال راجعة إلى الرغبة في الهدى، وطلبه، وتحريه، وأسباب الإضلال بعكس ذلك.

١١- لمسألة الهداية والإضلال تعلق بالقدر عموماً، ولها تعلق خاص بسرِّ القدر الإلهي، ومسألة الحكمة والتعليل، وقد ورد في البحث تفصيل لذلك.

ومن خلال البحث في هذه المسألة تبين لي بعض المقترحات التي تصلح مادة علمية للبحث العقدي مما هو قريب من هذه المسألة، وهي كما يلي: ١- مسألة الحكمة من خلق المعاصي وتقدير السيئات عند ابن القيم. ٢- مسألة العناية الإلهية بين ابن القيم وابن تيمية. ٣- موقف ابن القيم من مسألة خلق الشر في العالم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وأسأله - عز وجل - أن ينفع بهذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، المجلد (١٢)، ص ص ٢٢٤ – ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

د. محمد بن إبراهيم الحمد

The concepts of guidance and misguidance meaning, relation to destiny, wisdom and reasoning behind them

Dr.. Mohammed bin Ibrahim Al-Hamad
Qassim University - Faculty of Sharia and Islamic Studies –
Department of Doctrine and Contemporary Ideologies

Research Summary

Title of this research is: (The concepts of guidance and misguidance, meaning, relation to destiny, wisdom and reasoning behind them). It revolves around a great and controversial issue, And many misconceptions are about it, so it needs further research and clarification about their concept, And to answer the problems raised regarding them.

This research included the following:

1 - guidance: refers to directing, guidance, clarification, and enlightenment, and misguidance is against it.

2 – the fact that the orders of the Lord's guidance to man is divided to four levels: general guidance, guidance in the sense of clarification, direction and guidance, guidance of leading and inspiration, guidance to heaven, or fire on the Day of Resurrection.

3 - guidance to the true path and guidance fixed to the apostles and their followers, and it does not require success in accepting the message.

Guidance of lead and inspiring is in the hand of Allah alone, which is honored only to those whom he wishes.

4 - the research contained the meaning of guidance to the true path, and in the true path, and the meaning of guidance in summary and comprehensively, and the details of the guidance to the straight path.

5 - guidance in Sharia means: Allah's honour to the slave in guiding him to the straight path, leading him, and inspiring him to accept it, as a grant and grace of him the Almighty.

6 - misguidance in sharee'ah means: the opposite of guidance, it also means to turn away from the straight path, and it is consist of several types.

7 – misleading in law means:

with Allah's wisdom and justice, letting the servant go astray by forsaking him, And depriving him of being guided to straight path.

8 – both guidance and misguidance have specific reasons, and detailed reasons, and the research explained all of that.

9 - guidance and misguidance have some relation to destiny in general, and have a special attachment to the divine destiny, and to the aspect of wisdom and explanation, and that has been explained in the search.

Through this research some answers were given to Problems in regard to guidance and misguidance.

All praise be to Allah the almighty, and I pray to him to make this work beneficial. And peace be upon our Prophet Muhammad and his family and companions.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

فهرس المراجع

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ)، تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي، ط٢، ١٤٠٩هـ

٢- الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء، دراسة تحليلية د. عبدالرزاق البدر، مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد ١١١، السنة ٣٣، ١٤٢١هـ .

٣- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري (ت١٣٩٩هـ)، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٤- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، قدم له، وعلق عليه، وخرَّج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م

٥- الأصمعيات، لأبي سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك (ت٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ت١٣٧٧هـ)، وعبدالسلام محمد هارون (ت١٤٠٨هـ)، بيروت، لبنان، ط٥

٦- أصول الدين لعبدالقاهر البغدادي (ت١٠٣٧هـ)، طبعة مصورة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م

٧- أصول أهل السنة والجماعة، المسماة برسالة الثغر، لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٨- الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة، للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع

٩- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، أو ٢٠٠ سؤال في العقيدة الإسلامية، تأليف الشيخ: حافظ الحكمي (ت١٣٧٧هـ)، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي جدة، ط٣، ١٤١٠هـ

١٠- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي

١١- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) بتصحيح وتكميل وتعليق الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم (ت١٤٢١هـ)، ط٢، دار القاسم الرياض ١٤٢١هـ.

١٢- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، شرحه ونشره السيد أحمد صقر (ت١٤١٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

١٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (ت١٢٧٩هـ)، للمباركفوري (ت١٤٢٧هـ)، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ
١٤- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي (ت١٣٩٢هـ)، ط٢، ١٤٠٦هـ
١٥- التعريفات للشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
١٦- تفسير التحرير والتنوير، تأليف العلامة محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٤هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس
١٧- تقريب التدمرية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ
١٨- التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، د. عبدالله بن عمر الدميجي، دار الوطن، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ)، اعتنى به د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، دار التدمرية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
٢٠- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للشيخ عبدالرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ)، ط٢، مكتبة الأقصى عنيزة، ١٤٠٩هـ.
٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ
٢٢- جامع الرسائل، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، د. محمد رشاد سالم (ت١٤٠٧هـ)، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٥هـ
٢٣- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط (ت١٤٣٨هـ) وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م
٢٤- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت
٢٥- خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون (ت١٤٠٨هـ)، القاهرة، الخانجي، ١٤٢٠هـ.
٢٦- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق د. محمد رشاد سالم (ت١٤٠٧هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
٢٧- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم (ت١٣٩٢هـ)، ط٥، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م
٢٨- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية نظم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تأليف الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ) ، تصحيح عبدالغني عبدالخالق، مطبعة السيد الحلبي، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٧م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

٢٩- الدرة فيما يجب اعتقاده، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق د. أحمد بن ناصر الحمد، وسعيد بن عبدالرحمن القزقي، توزيع مكتبة التراث، مكة المكرمة، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٣٠- الدين الخالص تأليف السيد محمد صديق حسن (ت١٣٠٧هـ)، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٣١- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري (ت٦١٦هـ)، ضبطه، وصححه، وضبط فهارسه، مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري (ت١٤١٤هـ)، وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان

٣٢- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت٧هـ)، شرح وتحقيق د. محمد محمد حسين (ت١٤٠٢هـ)، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية

٣٣- ذمُّ التأويل لابن قدامة (ت٦٢٠هـ)، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، ط١

٣٤- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، لابن القيم (ت٧٥١هـ)، قدم له الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد (ت١٤٢٩هـ)، تحقيق عبدالله بن محمد المديفر، مطابع الشرق الأوسط، ط١، ١٤٢٠هـ

٣٥- الرسالة التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي (ت١٤٣٧هـ)، ط١، ١٤٠٥هـ

٣٦- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٣٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ

٣٨- السنة لابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ

٣٩- سنن ابن ماجة (ت٢٧٣هـ)، دار الدعوة، دار سحنون، ترقيم محمد عبدالباقي، ط٢

٤٠- سنن الترمذي (ت٢٧٩هـ)، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢.

٤١- شرح الأصول الخمسة، لعبدالجبار الهمذاني (ت٤١٥هـ)، تعليق أحمد ابن الحسين بن أبي هاشم (ت٤٢٠هـ)، تحقيق د. عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، ١٣٨٤هـ -١٩٦٥م

٤٢- شرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد ابن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٨هـ

٤٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

٤٤- شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، حققه سعيد بن نصر بن محمد (ت١٩٣٩هـ)، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٤٥- شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها: جماعة من العلماء، خرج أحاديثها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، ١٤٠٤هـ

٤٦- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان، مكتبة لينة، ط١، ١٤٠٩هـ

٤٧- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحرير الحساني عبدالله، مكتبة دار التراث، القاهرة

٤٨- الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، د. عبدالرزاق البدر، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١١هـ

٤٩- صحيح البخاري، للإمام البخاري (ت٢٥٦هـ)، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

٥٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، أشرف عليه زهير الشاويش (ت١٤٣٤هـ)، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ

٥١- صحيح مسلم، للإمام مسلم (ت٢٦١هـ)، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

٥٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ضبط نصه وخرج أحاديثه عمر ابن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٩هـ

٥٣- العقل والنقل عند ابن رشد (ت٥٩٥هـ)، د. محمد أمان الجامي (ت١٤١٦هـ)، الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٠٤هـ

٥٤- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني (ت٤٤٩هـ)، دراسة وتحقيق د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع، ط١، دار العاصمة، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م

٥٥- العمدة لابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (ت١٣٩٢هـ)، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٢م

٥٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ت٢٥٦هـ)، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٧هـ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

٥٧- فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ط٤، ١٤١٠هـ

٥٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، عالم الكتب، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٥٩- الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، دراسة وتحقيق د. حمد التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

٦٠- الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، حققه، وعلق عليه، ووضع فهارسه جمال عبدالغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

٦١- فقه الأسماء الحسنى، د. عبدالرزاق البدر، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

٦٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (ت١٠٣١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ط٢، ١٣٩١هـ

٦٣- القاموس المحيط، للفيروزأبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ

٦٤- القدر لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت٣٠١هـ)، تحقيق عمرو عبدالمنعم سليم، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٦٥- القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، دراسة وتحقيق وشرح محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

٦٦- القضاء والقدر، أبو الوفاء محمد درويش (ت١٣٨٢هـ)، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٦٧- القضاء والقدر، د. عمر الأشقر (ت١٤٣٣هـ)، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ.

٦٨- القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق أحمد الدسوقي، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة الخاني، ط٢، ١٤٠٦هـ

٦٩- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه، للشيخ د. عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

٧٠- الكليات لأبي البقاء الكفوي، قابله على نسخة خطية، وأعده للطبع، ووضع فهارسه د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢،١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (١)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٢٢٤ - ٢٨٢ (محرم ١٤٤٠ هـ / يوليو ٢٠١٨م)

٧١- لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، دار الفكر

٧٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

٧٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم (ت١٣٩٢هـ) وابنه محمد (ت١٤٢١هـ)

٧٤- مسائل الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) رواية إسحاق بن إبراهيم بن هاني، تحقيق زهير الشاويش (ت ١٤٣٤هـ)، المكتب الإسلامي

٧٥- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراسة عبدالإله الأحمدي، دار طيبة، ط١، ١٩٩١م - ١٤١٢هـ

٧٦- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق

٧٧- المعجم الكبير للطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة

٧٨- معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون (ت١٤٠٨هـ)، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م

٧٩- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للعراقي (ت٨٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٨٠- المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبدالجبار الهمذاني (ت٤١٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، ط القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر

٨١- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، ضبط هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

٨٢- الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، محمد عبدالباقي (ت١٣٨٨هـ)، دار الحديث

٨٣- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٨٤- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنواظر في القرآن الكريم لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، عني بتصحيحه والتعليق عليه مهر النساء آيم آي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٤هـ

٨٥- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: طاهر الزواوي (ت١٤٠٦هـ) ومحمود الطناحي

(ت١٤١٩هـ)، المكتبة العلمية، بيروت

٨٦- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني (ت٤٧٨هـ)، حققه، ورتبه، وأكمله، وأصلحه عبدالعزيز سيد الأهل (ت١٤٠٢هـ)، دار العلم للملايين، بيروت

٨٧- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم د. سليمان القرعاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

٨٨- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر محمد بن عبدالواحد البغدادي المعروف بغلام ثعلب (ت٣٤٥هـ)، حققه، وقدم له د. محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م